لجنة التعريف بالإسلام
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قصة موسى
عليه السلام

تأليف الأستاذ
أحمد الجبالى

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

الكتاب السادس والخمسون
١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــداء

قصة سيدنا موسى عليه السلام

الى الذين يقولون الحق ولا يخشون فى الله لومة لائـــم ·
والى المصلحين حملة المشاعل لينيروا الطريق أمام النـــاس ·
وليبينوا لهم أن الدين يتسع لمواكب الاصلاح والسياسة ·
وكذلك العدالة الاجتماعية المنبثقة من العدل الالهى ·
فلا يضيق هذا الدين بكل عابر ولو من الضالين ليهتدوا ·
ان قصة سيدنا موسى عليه السلام تمثل الجهاد فى أعلى مثله ·
والتضحية فى شامخ مجدها · والصمود أمام الطغيان فى أتسى صورة ·
فأنى لشخص واحد أعزل ومن ورائه قوم عبيد أذلاء ·
وفئة قليلة أرقاء · طحن الاستعباد منهم كل فضيلة ·
الا بقية من دين هى ظل لعقيدة بالله الواحد الخالق .
لا يقوى على الجهر بها أحد ولا تمارس الا خفية ·
وفى أعماق قلوبهم وخاصة عند شيوخهم المسنين .
بهذه الحالة الواهيه شكلا وموضوعا والتى لا يأبه لها أحد ·
وقف موسى أمام فرعون يدعوه للايمان وليطلق بنى اسرائيل من مصر ·
فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا ·
فقال له موسى وانى لاظنك يافرعون مثبورا ·

فانظر كيف يتجرأ رجل من رعية فرعون وربيب بيته .
ان يواجهه بهذا الكلام القاسى دون خوف من بطشه .
ولكنه الايمان العميق يملأ قلبه بأن الله ناصره .
ثم يحق الله الحق فى آخر الامر . ويخرج بنو اسرائيل من مصر .
ويؤمن فرعون برب موسى قبيل غرقه فلا يقبل منه .
وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا بالخروج .
ولكنهم ضلوا بعد ذلك وأفسدوا وآذوا موسى نبيهم .
ثم عصوا فعاقبهم الله بحرمانهم من الارض المقدسة .
وكذلك التيه أربعين سنة فى صحراء سيناء .
وكذلك أخذ ربك فى بنى اسرائيل ان أخذه اليم شديد .
وسلام على موسى والمرسلين أولى العزم منهم والصابرين .

المهندس أحمد الجبالى

مقدمة

« دخول بنى اسرائيل مصر »

« اذهبوا بقميصى هــذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعــين .. !! « فلمــا أن جاء البشــير ألقــاه على وجهـــه فارتد بصــيرا ...! » .

« فلما دخلوا على يوسف أوى اليه أبويه وقال أدخلوا مصر ان شاء الله آمنين ... ! ! » .

هذه بداية دخول بنى اسرائيل مصر وهم أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام وكان يدعى اسرائيل ولذلك سمى بنوه الاثنا عشر سبطا « بنى اسرائيل » وسموا أيضا بالعبرانيين لان يعقوب كان قد هاجر بهم من اقليم « بابل » بالعراق الى أرض فلسطين بعد أن عبروا نهرى الدجله والفرات ـ ثم عرف بعد ذلك بنو اسرائيل « باليهود » نسبة الى أحد أسباط يعقوب المسمى « يهوذا » فتحرفت بمضى الزمن الى « يهود » .

ولقد كان دخول بنى اسرائيل مع أبيهم يعقوب الى مصر فى عهـد أخيهم « يوسف الصديق » الذى كان وزيرا لفرعون مصر « أبابى الاول » من الاسرة ١٦ فى سنة ١٦٠٠ ق.م. بعد أن تربى فى بيت عزيز مصر حيث اشتراه من أحد التجار الذى انتشله من بئر بعد أن القاه اخوته فيها حسدا منهم لاستئثاره بحب أبيهم يعقوب ولقد تحمل يوسف هذه المحنة وتحمل بلاء آخر فى مصر من الفتنة مع زوجة عزيز مصر الذى رباه فى بيته وطلب السجن

فرارا بشرفه ودينه وامانته وبقى فى السجن بضع سنين وخرج منه ليعبر لفرعون رؤيا أزعجته بأن رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وقد اقتنع الملك وسر منه وجعله وزيرا له على مصر كلها يرعى أمورها ومواردها ومهيمنا على خزائن المال ومخازن الغلال . وقد تبوأ هذا المركز الكبير لأمانته واخلاصه وقدرته على تحمل أعباء وظيفته عن ثقة مطلقة وبعد أن اجتاز تلك البلايا والامتحانات بقلب سليم ونفس مطمئنة وجوارح معصومة من الزلل فنال عليها الجزاء الاوفى .

ولقد تزوج « يوسف الصديق » من مصرية تدعى « أسنات » بنت « قوطيفارع » رئيس الكهنة فى معبد فرعون · وقد أنجب يوسف من زوجته ولدين هما « منسى وأفرايم » ·

ولما حضر اخوة يوسف وأبوهم يعقوب الى مصر رفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقال يعقوب نعم يا يوسف أنى اذكر رؤياك ولا أنساها وانت صبى صغير اذ قلت لى أنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عبـاده لانه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ولقد كان بنو اسرائيل الذين حضروا من الشام وأقاموا فى مصر فى اقليم الشرقية فى المنطقة « جاشان » التى تقع بين الزقازيق وأبو حماد وبلبيس » وكان عددهم ٧٠ نسمة من صلب يعقوب بخلاف أولاد العمومة والمؤمنين من نسل اسحق ولوط .

ولقد أوصى يعقوب أن يدفن بالشام بمدينة الخليل بجوار أبيه اسحق وجده الخليل ابراهيم وبعد أن مكث بمصر ١٧ سنة توفى يعقوب عن ١٤٧ سنة فحنطوه وحملوه ليدفن فى مدينة الخليل حسب وصيته لبنيه .

وأما « يوسف الصديق » فقد أمر باقامة اخوته وأهلهم فى اقليم الشرقية حيث استأذن فرعون فى ذلك لانهم قوم رعاة أغنام فوافق الملك على ذلك وقال

ليوسف اجعل لى واحدا منهم مديرا أو مشرفا على الاغنام والمواشى الخاصة بالقصر فعين يوسف له أخاه « لاوى » ليختص بالاشراف على مواشى فرعون وبقيت هذه الوظيفة مقصورة على نسل « لاوى » من بعده ـ حتى عهد موسى ـ فى سنة ١٢٦٠ ق٠م ٠

ولقد عاش « يوسف الصديق » ١١٠ سـنة توفى بعدها وأوصى أخوته وأبناءه أن يحفظ جثمـانه حتى اذا خرجوا من مصر يأخذونه معهم ليدفن فى الارض المقدسة « فلسطين » .

الفصل الأول

ولادة موسى

فرعون مصر :

كان يحكم مصر فى ذلك العهد الملك « رمسيس الثانى » أعظم الفراعنة الذين حكموا مصر فى العصور القديمة وقد تولى الحكم فى سنة ١٣٠٠ ق ٠ م ٠ تقريبا وكان وقتئذ شابا لا يتجاوز العشرين من عمره وظل يحكم الامبراطورية المصرية زهاء ثلاثة أرباع قرن من الزمان كما أنه قد عمر طويلا حتى ناهز المائة عام . ولقد كانت الامبراطورية المصرية فى حكمه تتكون من مصر وفلسطين ولبنان والجزء الجنوبى منسوريا ٠ ولقدكان فرعون مصر « رمسيس الثانى » رجلا مزواجا فقد تزوج عدة نساء احداهن اخته وثلاثة من بناته أيضا حيث كان ذلك مباحا وقتئذ أن يتزوج الملك أخته أو ابنته ومن أشهر زوجاته ثلاث ملكات هن « است نفرت » وهىأخته «ونفرتارى» و « مات نعرورع » وأنجب من الابناء الذكور أكثر من مائة وعشرين ومن الاناث ما يربو على الستين بنتا ٠ ولكن الذين كان لهم الحق فى ولاية العهد من الذكور هم ثلاثة عشر ولدا فقط الذين كانت امهاتهم من الاميرات ويجرى فى عروقهم الدم الملكى ٠

ويهمنا من زوجات فرعون ــ الملكة « است نفرت » وهى اخته ووالدة كبرى بناته « بنت عنتا » التى تزوجها أبوها أيضا وكذلك كانت « است نفرت » والدة الامير « مرنبتاح » أصغر ابنائها والذى كان ترتيبه الثالث عشر من الاولاد الذكور فى ولاية العرش وقد أصبح بعد ذلك ولى العرش الوحيد فى أواخر أيام رمسيس الثانى فى السنة الخامسة والخمسين من حكم والده وخلف والده رمسيس الثانى وأصبح الملك « مرنبتاح » بعد وفاته ولذلك كان لهذه الزوجة « است نفرت » مقاما عزيزا عند فرعون وحظوة كبرى لديه لا يرد لها طلبا ولا

يخيب لها رجاء · ويطلق بعض الكتاب العرب على هذه الملكة « است نفرت » اسم « آسيا » ·

لقد كان « رمسيس الثانى » مغرما بالبناء والعمارة فأقام المعـابد الضخمة ـ الباقية على الزمن ـ فى طول البلاد وعرضها ولا زالت تشهد بعظمة هذا الفرعون الجبار الذى لم ينزل مدينة أو قرية الا وله اثر فيها صغيرا أو كبيرا وعلى سبيل المثال لاالحصر فقدأنشأ معبد الاقصر ومعبد الكاب وقسم فى معبد الكرنك ومقبرة رمسيس الثانى ومعبد الرمسيوم ومعبد العرابة ومعبد منف ثم أنشأ مدينة « بر رعمسيس » وموقعها الان بقرب أبو حماد باقليم الشرقية حيث كانت العاصمة الثانية للامبراطورية المصرية ·

وكذلك أنشأ المعابد الضخمة فى بلاد النوبة وأشهرها معبد «ابوسمبل» ومعبد الدر ومعبد السبوعة ومعبد حتحور ومعبد فرس ومعبد بيت الوالى ومعبد سرة ·

هذا بخلاف التماثيل الكبيرة والمسلات العظيمة المنتشرة فى المعابد والمدن وقد سجل عليها حروبه وانتصاراته على الاعداء فى حدود مصر الغربية وهم اللوبيون وفى آسيا أيضا منجهة الشرق ـ هذا قليل من كثير ما خلفه لمصر هذا الفرعون العظيم « رمسيس الثانى » وهذه الاثار الكثيرة الضخمة تعطينا صورة حقيقية عن قوة هذا الفرعون وعظمة مصر فى عهده وشخصية هذا الملك الجبار الذى لم يهزم قط وقد تأله فعبده المصريون وكان يطلق عليه ابن الشمس وابن الالـه رع حسب معتقداتهم ·

ولقدكان من عـادة « رمسيس الثانى » أن يحتفل كل عام بعيد توليـه الملك ويفتتح فيه أثرا من آثاره الخالدة على مر الدهور التى تكون تم انشائها فى خلال العام ·

وفى السنة الخامسة والثلاثين من حكمه أى فى سنة ١٢٦٥ق · م · تقريبا احتفل بافتتاح معبد « أبو سمبل » ·

وقد بدأ الاحتفال من معبد الكرنك بالاقصر يتقدمهم الفرعون « رمسيس الثانى » فى سفينته المقدسة يتبعه سفن الامراء والكهنة والوزراء وحكام المقاطعات وقواد الجيش وكبار المصريين والموظفين والجنود ـ ولما وصل الموكب الفرعونى الى« أبو سمبل »افتتح رمسيس الثانى المعبد ويعتبر بحق آية ومعجزة فى فن البناء اذ كان منحوتا فى الصخر وعلى واجهة المعبد قد قد أربعة تماثيل ضخمة جدا لرمسيس الثانى ارتفاع كل منها عشرين مترا بين أعمدة مرتفعة عالية ضخة ثم بوابة فرعونية كبيرة وباقى المعبد كله منحوت فى جوف الجبل الصخر حيث يوجد دهليز المعبد وحجرات الكهنة وتماثيل الاله رع · وهذا المعبد العظيم الذى يوحى بالرهبة والاكبار يدل على مهارة النحت ودقة الفن والنقوش وجبروت فرعون فى انشائه ·

وبقى مهرجان افتتاح معبد « أبو سمبل » اسبوعين كاملين تقام فيه الصلاة كل يوم وفيها يعبد المصريون فرعون الاله رمسيس الثانى ابن الاله رع ثم يقوم فرعون مع الكهنة بالتعبد للاله رع رب الارباب ومانح الحياة والقوة لابنه فرعون ·

وقام كبير الكهنة بكتابة وثيقة افتتاح المعبد لتنقش على جدران المعبد كما هو منقوش على جدرانه انتصارات وحروب رمسيس الثانى على أعدائه وأعماله المجيدة فى اقامة المعابد والحصون والقصور والمدن والقرى والتماثيل والقبور ·

وعندما قام كبير الكهنة بحساب الطالع لساعة الافتتاح التى تمت هاله ما كشفت عنه الارقام الحسابية وطالعه النجمى فى علم الفلك ·

وهرول الى الفرعون « رمسيس الثانى » ليقابله على انفراد دون الحاشية لأمر جلل خطر فدهش فرعون لما قد يكون حدث ولبى طلبه وقال :

رمسيس الثانى : ما تبغى وما وراءك من خبر يا كبير الكهنة ؟

كبير الكهنة : بينما أرصد النجوم وأحسب الطالع لافتتاح معبدأبوسمبل

لنقيم الحرس والخدام من أبناء الجان لتضع الطلاسم .
على الابواب لتحفظ هذا المعبد على الدوام ·
ظهر فى الافق نجمان لم يكونا على البال ·
وبمتابعة العمل فكان لاحدهما عمل عاجل والاخر لم يكن فى الحال ·

رمسيس الثـــانى : وما العمل الذى يرمز اليه النجم العاجل ؟

كبير الـــكهنــــة : أرى حدثا خطرا على حياة فرعون ذى الاجلال .
على يد طفل ذكر يولد من العبرانيين الانذال ·

رمسيس الثـــانى : فليقتل كل طفل ذكر يولد للعبرانيين فى الحال .
وليرجع ذلك النجم الشؤم الى مكانه المتعال ·
وماذا تقول عن النجم الثانى ذى الاجال ·

كبير الـــكهنــــة : يقول هذا النجم قطع فى رقبة التمثال ·
ويرفع الى أعلى وكذلك المعبد والعمدان ·

رمسيس الثـــانى : وفى أى جيل يكون هذا القطع والطغيان ؟
وأى قوة ترفع المعبد من هذا المكان ؟

كبير الـــكهنــــة : بعد ثلاثة آلاف عام وربع الالف من الزمان ·
فى عهد رئيس ليس بملك ولكن صاحب سلطان ·

رمسيس الثـــانى : ليس يهمنا ما يحدث للمعبد فى آخر الزمان ·
ولكن قتل أطفال بنى اسرائيل ينفذ من الان ·
وكذلك استحياء النساء وذلتهم بلا استئذان ·
بأمرنا نحن الاله ينشر هذا فى سائر البلدان ·

موسى عليه السـلام

ولادته ونشـأته

رجع فرعون مصر « رمسيس الثانى » بعد الانتهاء من احتفالات بلاد النوبه بافتتاح معبد « أبو سمبل » سنة ١٢٦٥ ق٠م ٠ تقريبا الى قصره الصيفى فى عاصمة ملكه الثانية بمدينة « بر رعمسيس » باقليم الشرقية بعد أن استراح بعض الايام فى عاصمة ملكه الاولى بالوجه القبلى بمـدينة « طيبة » وهى « الاقصر » حاليا ٠

ذبـــح الاطفـــــــال :

ولقد قام جند فرعون ورجال الحكومة المسئولين بتنفيذ ما أمر به فرعون من قتل الاطفال الذكور من العبرانيين الذين يولدون منذلك الوقت ـ ولقد كان بنو اسرائيل يسكنون فى اقليم الشرقية فى قرى وكفور متجاورة فى المنطقة التى هى الآن مكان بلبيس والزقازيق وما جاورهما ولهذا كان من السهل تنفيذ أوامر فرعون بمراقبة الحوامل من النساء واستحيائهن والتفتيش المفاجىء بمنازل العبرانيين عن الاطفال الذكور الذين يولدون حديثا وينتزعونهم قسرا من بين احضان أمهاتهم ثم يذبحونهم أمام عيونهم وليس هذا بالموقف الهين على قلب الامهات فما أفظعه وأقساه وأى أم لا ينخلع صدرها ولا تفقد صوابها ولا يطير عقلها ولا تنهار أعصابها وهى ترى ابنها المولود حبيبها وأمل حياتها وبضعة من جسمها يذبح أمامها بلا شفقة وبلا رحمة . فمتى يكون الصراخ والعويل والهلع والجنون والحزن والدموع اذا لم يكن فى هذا المشهد الاليم ؟ ! ٠

فى هذا الجو الحزين كانت تعيش النساء من بنى اسرائيل منذ الحمل حتى الوضع يتراءى لهن هذا المنظر المنتظر ويشاركهم فى هذه الالام أزواجهم وآباؤهم وأخواتهم فلقد كانت بحق مجازر بشرية من نوع خاص فى فلذات الاكباد من الاطفال الرضع مما يجعل الامر أكثر ظلما وأشد ايلاما بأن تزهق

روح الطفل البرىء ويوم الحساب يسأل فرعون عن تلك النفس بأى ذنب قتلت فما يدرى لذلك جوابا فيلقى جزاء عمله هذا من العدل الالهى أن أدخلوا آل فرعون أشد العذاب جزاء ما اقترفت يداه من قتل وارهاب ·

أبو اموسى :

فى هذا الوقت كان يشرف على ادارة مواشى فرعون بمدينة « بررعمسيس » أحد العبرانيين واسمه « عمران » من سبط « لاوى » بالارث عن أجداده منذ خصص يوسف الصديق أخاه « لاوى » لرعاية شئون ماشية فرعون منذأربعة قرون سابقة · ولقد كانت زوجة عمران « يوكابد » من سبط « لاوى » أيضا وكانت كلمة يوكابد معناها الكرامة والاحترام ـ وقد أنجب « عمران» من زوجته « يوكابد » بنتا اسمها « مريم » فىالعاشرة من عمرها وكذلك ولدا اسمه «هارون» فىالثالثة من عمره . وكانت زوجته حاملا فى تلك السنة التى أمر فرعون فيها بقتل الاطفال الذكور واستحياء النساء ونهب الاموال واستذلال العبرانيين ولقد عاث جند فرعون وأعوانه فسادا فى بيوت العبرانيين لتنفيذ أمر فرعون كماأنهكان هناك قابلتان لمساعدة النساء الحوامل فى الوضع فأمرا أن يبلغا عن المواليد الذكور لقتلهم فورا ·

اخفاء الحمل والولادة :

ورغم هذه الاجراءات المشددة والتفتيش المستمر فى بيوت العبرانيين كانت الحوامل من النساء تلجأ لاخفاء حملهن بالملابس الفضفاضة وعدم الظهور فى الطرقات كثيرا واذا وضعت الحامل طفلا ذكرا تجتهد أيضا فى اخفائه لتنجيه من الذبح أمامها مخاطرة فى ذلك بحياتها ثم تبحث عن أى وسيلة لتربيه خفية حتى يكبر ويندمج مع الصبية بعد ذلك ·

وهذا ماحدث مع « يوكابد » زوجة «عمران» فلما حان ميعاد الوضع وكان المولود ذكرا أخفته فى بيتها ثلاثة أشهر ولكن الى متى وصراخ الاطفال عندما يكبرون يسمع من بعد ولا يمكن التحكم فى الطفل ليمنع صراخه ثم أعمال

لتفتيش من جنود فرعون مستمرة فى جميع البيوت ليلا ونهارا وفى أى وقت وبلا استئذان وكان نمو هذا الطفل أكثر من العادى وقد كان ابن ثلاثة أشهر ولكنه فى حجم ابن ستة شهور جسما وحركة ونضارة وابتساما ومناغاة ·

حـــيرة أم موسى :

عندئذ قلقت أمه عليه وخافت من اكتشاف أمره فيؤخذ عنوة ويقتل قهرا واقتدارا ثم تسام هى وزوجها العذاب بسبب اخفائه وعدم تسليمه للذبح · وتسلط عليها هذا الهم والغم وقضت ليلتها ساهرة حزينة ترقب الطفل وتحتضنه بين ذراعيها آونة وتوسده فخذيها تارة أخرى وتقبله فرحة مرة وتلصق خدها بخده باكية مرة أخرى اذا ما تذكرت الذبح وظلت هكذا طوال الليل مرهفة الحس أن تسمع وقع أقدام الجنود فى الطريق أو طرقا على باب بيتها للتفتيش من أعوان فرعون ·

نزول الوحى على أم موسى :

ولقد أرقتها هذه‌الافكار فلميغمض لها جفن حتى قارب الليل أن ينتهى وحان طلوع الفجر فغلبها النعاس وراحت فى سنة من النوم والطفل يرضع من ثديها ···

فاذا بها ترى فى منامها نورا قد ملا حجرتها وان ملكا من السماء قد نزل اليها فى جسم طفل كبير ذو جناحين بوجه مشرق جميل أبيض الوجه يشع النور من وجهه وقال لها فى وداعة ولطف يا ((أم هارون)) ان ربك يقرئك السلام ويقول لك أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ·

فقالت ويحى اذا ألقيته فى اليم فسيغــرق وينزل الى القاع فقال الملك اقذفيه فى التابوت‌فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له . وغاب عنها الملك الى السماء فاستيقظت فرحة مستبشرة متهللة الوجه مطمئنة النفس وأيقظت زوجها « عمران » وقصت عليه رؤياها فسجد لله

شكرا أن أكرمه الرب بارسال الملك لزوجته بخصوص ابنه وانها لبشرى عظيمة لان ملائكة الرب لم يظهروا لاحد من بنى اسرائيل منذ أربعة قرون مضت منذ يوسف الصديق ..

صـــناعة التابوت

وقال عمران لزوجته يوكابد سأصنع الصندوق المناسـب للطفل وسأحضره عند الظهر لتضعى فيه الطفل كأمر الرب · وفعلا أحضـر عمران صندوقا من الخشب الجديد المحكم وطلاه بألوان زاهيةجميلة وكتب على جوانبه الاربعة باللغة العبرية « يارب كما أمـرت وضعناه فى التابوت » وعلى الوجـه الثانى « يارب كما أمرت ألقيناهفى اليم » وعلىالوجه الثالث « يارب كما أمرت فألقه بالساحل » وعلى الوجه الرابع « يارب كما أمرت رده لامه » وعلى غطاء الصندوق كتب أيضا « يارب كما قلت اجعله من المرسلين » ·

عندئذ جهزت الام الصندوق من الداخل بوسائد ليكون مريحا للطفل وأجرت ثقوبا فى غطاء الصندوق ليتنفس الطفل الهواء وبعـد أن أرضعـت « يوكابد » طفلها قبله أخـوه هارون واخته مريم ثم والده عمران ثم قبلته أمـه باكية واستودعته الله فى الصندوق ·

القاؤه فى اليم :

وحملته الى النيل وكان وقتالفيضان ووضعتالصندوق برفق علىسطح الماء فجرفه الموج الى عرض النيل وسار مع التيار الى جهة الشمال وقالت أمـه والدمـع ينحدر من خديها الى اخته ؟مريم ! قصيه فمشتاختهعلى الشاطىء فى مقابلة الصندوق وهو طاف على المـاء تتقاذفه الامواج الى أن صـار فى محاذاة قصـر فرعون فألقت به الامواج على الساحل فاحتجزته بعض شجيرات نامية على الشاطىء فبصرت به ـ على حين غفله ـ زوجة فرعون الملكة « است نفرت » اذ كانت تجلس فى شرفة القصر فأمرت الخدم باستحضاره ·

ولما فتح الصندوق أمامها وجدوا بهطفلا ذكراكبيرا وليس حديث الولادة بل مضــت عليه عــدة شهور حيث كان كثير الحركة وجميل الوجــه وباسم الفم فقال أحــد الحاضرين أنه من العبرانيين لان هذه سماتهم بياض البشرة واصفرار الشعر واخضرار العيون فقال فرعون اقتلوه فورا ٠

وهــذه لحظة وقفت فيها عقارب الزمن لا تتحرك فهى ساعة الفصل فى أمــر قــد قدر فهنــاك فى اللوح المحفوظ مخطوط : ؟ موسى النبى ! فهــل يقتل الطفل ويمحى ما كتب فى اللوح المحفوظ ؟ كلا فأمر الله نافذ وما قدر يكون٠ فهبت على الكون نسمات من صفات أسماء الله الحسنى صفة الرحمة فملأت قلب زوجة فرعون حبا للطفل وصفة القهر فطمست على قلب فرعون ٠ فهمت زوجة فرعون واحتضنت الطفل وضمته الى صدرها وقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ٠ فوجىء فرعون بما حدث من زوجته على غير انتظار فاستسلم وغلب على أمره لان الله بالغ أمره ٠

ولقد كانت زوجة فرعون « است نفرت » تناهز الاربعين من عمرها وقد توقفت عن الحمل من قبل ذلك بخمس سنوات ولذلك تعلق قلبها بحب ذلك الطفل ليكون ربيبا لها مع ابنها الاصغر « مرنبتاح » وكان فرعون فى هذا الوقت يبلغ الستين من عمره ٠ وكان يحب زوجته ولا يرفض لها طلبا لانها اخته وأخذ الطفل يصرخ من الجوع فاستحضروا له عددا من المرضعات فلم يقبل أن يرضع منهن جميعا وكانت اخته مريم قد دخلت معهم حين حملوا الصندوق من اليم وكان دخولها غير ممنوع لانها ابنة « عمران » أحد الاتباع فى القصــر فقالت مريم ـ هل أدلكم على مرضعــة أخــرى قد يقبلها فوافقوا فذهبت مسرعة وأحضرت أمها « يوكابد » وقصت عليها فى الطريق ما حدث وما شاهدته وقررت الام أن تخفى معرفتها بالطفل وأنه ليس لها به أى صلة ٠ ولما وصلت « يوكابد » رضع منها الطفل ٠

وتعجب من ذلك فرعون وسألها عن السر فى أن هذا الطفل قبل الرضاعة منها مع أنه رفض غيرها فقالت معللة ذلك بأنها امرأة طيبة وظيفتها الرضاعة

وتغذى نفسها جيدا لتكون رضاعتها مفيدة ويقبل عليها الاطفال بشغف عظيم فصدقوها بسلطان القهر المسلط فى ذلك الوقت على بيت فرعون ٠

فأمرت زوجة الملك أن تكون « يوكابد » مرضعة للطفل ويجرى عليها أجـر جزيل وتكون ابنتها « مريم » ملحقة بجناح الملكة لملاطفة الطفل وحاملة له ٠ وأن تحضر « يوكابد » المرضعة للقصر لارضاع الطفل حسب الحاجة ٠

واقترحت زوجة فرعون أن يسمى الطفل « موسى » أى الذى انتشل من الماء وبهذا الاسم عرف منذ ذلك التاريخ ٠

وهكذا دخل السرور على قلب « يوكابد » تحقيقا لما أوحى اليها بأن نجى الرب ابنها من الذبح ثم رده اليها هى بالذات ليرضع منها كى تقر عينها برؤيته ثم فى الوقت نفسه يربى فى بيت فرعون ليكون عدوا لهم وحزنا فى المستقبل وما أجـل المتناقضات التى لا يملك تنفيذها الا رب العالمين وكان أمر ربك حتما مقضيا ٠

استمرت « يوكابد » سنة ونصف سنة تقريبا ترضع الطفل وكانت مريم الخادمة الخاصة له ثم شب الطفل ولم ينقطع عن زيارة « يوكابد » ولم تنقطع هى الاخرى عنه ٠٠ ولقد كان نموه غير طبيعى اذ كان جسمه أكبر من سنه وينمو بسرعة وألقى الله حبه فى قلوب من فى القصر فشب مدللا محبوبا تحوطه العناية والرعاية يتزلفه الخدم ويتقرب اليه الحرس والموظفون

وكلما كبر زاد قوه وبسطه فى الجسم وتعلقت به أمه زوجة فرعون « است نفرت » حتى لم تعد تطيق أن يبتعد عنها وأخذ موسى يتردد على « يوكابد » مرضعته فى بيتها بصحبة خادمته « مريم » وعندما أصبح موسى فى السادسة من عمره وهـو سـن الفهم ونضج العقل كانت يوكابد تلقنه بحـذر أنها والدته الحقيقية التى ولدته وأن هارون أخـوه وهو يكبره بثلاث سنوات واخته « مريم » وتكبره بعشر سنين وتحذره أن يبوح بذلك لاحد وكان يطيعها وكانت تلقنه هذه الاسرار دائما بعد ذلك كلما كبر سنة بعد أخرى حتى رسخت فى ذهنه هذه الحقيقة ووعاها عقله الباطنى ولا يبوح بها لاحد .

وعندما بلغ موسى السابعة من عمره كان يحضر اليه مؤدب من رجـال الدين يعلمه القراءة والكتابة الهيروغلوفية ولما بلغ العاشرة كان متفوقا فى تعليم اللغة والحساب والقراءة وكان يدرس معه آخر أبناء الملك واسمه «مرنبتاح» وكان يكبره بخمس سنوات وكلما كبر زادت الدروس نوعا وعددا وأخـذ يدرس علوم الفلك والحكمة وكان أحيانا يحصل من علوم الحكمة والحساب أكثر مما يحصله «مرنبتاح» ابن فرعون رغم كبر سنه عنه وأما الدروس الدينية وتعاليم الكهنوت فكان يمتاز فيها « مرنتباح » وأما موسى فلم يحصل منه شيئا وكأن بأذنيه وقرا وكانت فى نظره طلاسم لم يفهم منها شيئا وحماه الله من نفاذ معتقداتهم الدينية الى قلبه رغم قسوة الكاهن عليه ــ ولما بلغ موسى العشرين من عمره وأصبح شابا قوى الجسم مفتول العضلات آتاه الله الرشد والحكمة وأخذت تشرق فى قلبه أنوار الايمان وتطرد عنه وساوس الشيطان وتلهمه عقيدة التوحيد وأخذت احاسيسه ومشاعره فى التأمل والتفكر فى صنع الرب من أرض وسماء وخلق مخلوقات وكان عقله ينبذ دائما مايتبعه آل فرعون من عبادة فرعون أو رع أو أمون فهى أسماء لا تملك أن تخلق شيئا عينيا أمامه وانما الـكهنة يضللون الناس بعقائد معقدة ليحتفظوا بمراكزهم الـدينية ويتنعمون بعيشة مترفة ·

وكان دائما تفكيره وبحثه يتطرق الى معاونة شعب العبرانيين من استعباد ومذلة مع أنهم من المعتقدين فى الرب الواحد المعبود وكان الاحق بالاستعباد هم آل فرعون لانهم غير مؤمنين · واستعصى على تفكيره أن يصل الى حل لهذه المشكلة فقرر أن يذهب الى والده « عمران » ليستوضحه الرأى فى هذا الموضوع وليشرح له الحقيقة عسى أن يقتنع برأى فيه .

تعرف موسى على أصل اسرائيل :

وعندما قابل موسى « عمران » دار بينهما الحديث التالى :

موسى : أبى : ما هو أصل بنى اسرائيل فى مصر ؟

عمران : لقد كان جدنا يعقوب النبى واسمه أيضا اسرائيل له اثنا عشر ولدا وهم من الاسباط المعروفين ببنى اسرائيل وحضروا الى مصر واستوطنوا فى « منطقة جاشان » « باقليم الشرقية » فى عهد أخيهم يوسف الصديق النبى ابن يعقوب النبى وكان وزيرا لفرعون فى ذلك الوقت منذ أربعة قرون وكانت صناعتهم رعى الاغنام والماشية واشتغلوا بها واختص جدى « لاوى » بمباشرة رعى مواشى فرعون ولا زلنا فى هذه العملية بالارث حتى الان . ثم بتقادم الزمن اشتغل بعض العبرانيين فى الاعمال الحرفية مثل البناء والتجارة والخدمة عند المصريين ولكن العبرانيين عقيدتهم التوحيد وهو الايمان بالله خالق الدنيا كلها . وأما المصريون فهم عبدة أوثان وأرباب مختلفة .

موسى : وهل كان هناك أنبياء آخرون قبل جدنا « يعقوب النبى » .

عمران : نعم كان أبوه اسحق وجده ابراهيم خليل الرب صاحب المعجزة الكبرى .

موسى : وما تلك المعجزة يا والدى التى حدثت على يد ابراهيم النبى .

عمران : ولد جدنا ابراهيم النبى فى بلاد « بابل » «بالعراق» وكان بها ملك جبار شديد اسمه « النمروذ » فتحدى ابراهيم وهو صبى ذلك الملك وقومه لانهم كانوا يعبدون الاصنام ويتخذون النمروذ الها لهم . فقام ابراهيم يدعوهم لعبادة الرب وحده فرفضوا فكسر أصنامهم فأمر الملك النمروذ باحراقه فجمعوا له حطبا كثيرا وأوقدوا النيران وألقوا ابراهيم فى وسطها فلما خمدت النيران وجدوا ابراهيم سليما لم تحرقه النار فتعجب القوم من هذه المعجزة الكبرى فتركوه وشأنه وآمن معه فئة قليلة وهاجر بهم الى بلاد فلسطين ولا زال قبره هناك فى مدينة الخليل .

موسى : ليتنى أكون مثل جدنا ابراهيم فأحطم هذه التماثيل والاصنام وكذلك الالهة المزيفة من رع وحور وأبيس وغيرها ولكن أنى لى

بالقوة التى اقف بها فى وجه فرعون وقومه وما أنا الا شاب واحد ربيب الملكة ولا أملك لنفسى حولا ولا قوة أمام فرعون وقومه فليت لى قوة من الرب مثل ابراهيم النبى ·

عمران : ستكون يا بنى كذلك ويؤيدك الرب بالروح القدس وتنشر عقيدة التوحيد بين المصريين وتدمر هذه المعابد العظيمة فوق رؤوس تماثيلها الضخمة فتنقذ أهلك وعشيرتك الموحدين العبرانيين من العذاب المهين . فقد بشر ملاك الرب والدتك « يوكابد » وأنت طفل صغير بأن الرب سيجعلك من المرسلين .

موسى : ليت هذا الامل يتحقق يا أبى وما ندرى عسى أن يكون هذا الحديث بيننا الهاما من الرب يوضح لنا معالم الطريق ونبراسا نهتدى به · ويحفزنا على السير قدما فى طريق الرب حتى يكون خلاص بنى اسرائيل على أيدينا لأنهم حقا مؤمنون ولكنهم مستعبدون وأذلاء تستحيا نساؤهم ويهدر دم أبنائهم وانى عزمت أن أكون ظهيرا للعبرانيين من اليوم حتى استشعر الرضا والتأييد من الرب ليجعلنى من المرسلين لتنفيذ ما نبغى ونصل الى ما نأمل والله يؤيد بنصره من يشاء .

(موسى السامرى)

ولادة موسى السامرى :

كانت أمه تدعى « أبشيلة » من عشيرة « زارح » من سبط يهوذا أحد أخوة سيدنا يوسف أولاد سيدنا يعقوب وهم يعرفون ببنى اسرائيل وكانوا يسكنون فى مصر لمدة أربعمائة سنة بعد عهد يوسف عليه السلام · وقد حملت أبشيلة بدون زوج شرعى لأن الذكور من بنى اسرائيل كانوا قلة نظرا لذبح الاطفال الذكور منهم بأمر فرعون · ولما حان ميعاد الوضع لها استدعت جارتها « يوكابد » زوجة « عمران » وهى أم النبى موسى من سبط « لاوى »

أيضا ولما وضعت حملها وجدته ذكرا فحزنت لانه سيذبح لا محالة بمعرفة جنود فرعون فهدأت « يوكابد » من جزعها وقالت حملت مثلك قبلا منذ عشرين عاما ووضعت طفلا ذكرا فألهمنى الرب أن أضعه فى صندوق وألقيه فى اليم فالتقطه آل فرعون وتربى فى بيته وهو « موسى » الذى تعرفينه ناصر العبرانيين وحامى حماهم الان · فقالت « أبشيلة » رحماك أم هارون هل تشيرين على بفكرة أخرى مثل ما فعلت مع ابنك موسى فقالت « يوكابد » اذهبى به الى قمة ذلك التل البعيد وأخفيه بين الخمائل الكثيفة هناك واذهبى اليه كل يوم وأرضعيه خفية ولا يراك أحد فقالت « أبشيلة » انها حقا فكرة جميلة وسأنفذها وأسميه من الان « موسى » ليكون سميا لابنك « موسى » تيمنا وأملا أن يكون خيرا على بنى اسرائيل فقالت « يوكابد » أو لا يكون شرا على بنى اسرائيل فأخذت « أبشيلة » وليدها وأسرعت الى التل خارج المدينة الذى يبعد حوالى ثلاثة كيلو مترات وصعدت الى قمة التل رغم وعورة مسلكه وهناك سوت له أمه مخدعا بين الخمائل الكثيفة وربطت جدائل الشجر من حوله لتحميه من الزواحف وبعد أن أرضعته تركته فى رعاية الرب اله يعقوب واسحق وابراهيم ودلفت راجعة الى منزلها ·

لقد كانت الام « أبشيلة » تشتغل خادمة فى منزل أحد المصريين تكنس البيت وتنظفه وترعى الطيور وتسقى الحيوانات وتحلب لبنها وتصنع منه الزبد والجبن · وقد كان عملها هذا يستغرق منها طول النهار وفى اليوم الاول بعد وضعها كانت مرتبكة فى عملها تسهو فى عدم عمل شىء او تكرره بدون ضرورة لان فكرها وعقلها وروحها كانت مشدودة الى ابنها الرضيع على التل وخرجت من بيت سيدها بعد المغرب فهرولت الى التل وهى تحمل ثدييها على يديها لامتلائهما باللبن وتبلل منه ثوبها الملامس لهما ولم تشعر بالوقت الذى قطعته للوصول الى التل وكانت تفكر اثناء سيرها انها ستسمع صراخ ابنها من بعيد ولكنها روعت عندما وصلت التل ولم تسمع صراخه وهى تصعد الى قمة التل وفكرت حينئذ أنه ربما أكله ذئب أو اختطفه طائر جارح أو آذاه ثعبان سام أو اكتشفه أحد جنود فرعون فأخذ وقتل وكانت فى دوامة من هذه الافكار السوداء

حتى وصلت الى مخدعه الذى تركته فيه فوجدته يغط فى نوم عميق ففرحت برؤياه وحمدت الرب وشكرته على سلامته وحملته الى صدرها وأمطرته بالقبلاتحنانا وشوقا فاستيقظ من نومه فألقمته ثديها فلشد ماأدهشها أنه لم يقبل الرضاعة بل ووجدت فى فمه آثارا من بقايا رضاعة لبن ولكنها ظنته أنه رجع من اللبن الذى فى بطنه وقررت أن تبقى بجواره تنعم برؤياه وتشبع عاطفة الامومة بالنظر اليه وتقبيله حتى يهضم ما فى بطنه وترضعه ولكنها بعد أن قضت معه ساعات لم يقبل الرضاعة فيها الا جزءا يسيرا ليس هو المنتظر ووضعته فى مخدعه وأخذت تحصنه بالانبياء الاربعة ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف كل فى جهة منه وتحيطه باسم الرب المقدس معبود بنى اسرائيل ليحفظه من كل سوء ٠

ورجعت مسرعة من التل وهى فى كل خطوة تتلفت خلفها صوب ابنها بلا ارادة ووصلت الى منزلها وباتت ليلتها تعانى من امتلاء ثدييها باللبن فأخذت تعالجه بانزاله منهما على الارض وفى اليوم التالى تكرر ما حدث فى اليوم الاول بل كانت رضاعة الطفل اقل من اليوم الاول وهكذا اخذت تقل حتى رفض نهائيا الرضاعة من أمه بعد سبعة أيام وأخذ اللبن فى ثدى أمه يجف يوما بعد يوم ثم تحجر اللبن فيهما ثم انصرف نهائيا منهما ٠

وقصت « أبشيلة » على « يوكابد » ما حدث فى رضاعة ابنها موسى على التل وفكرا فى الامر سويا وأخذا يقلبانه على جميع الوجوه فلم يصلا الى حل مقنع أو تفسير لهذه الظاهرة العجيبة وأخيرا قالت « يوكابد » ذات القلب الطيب الفطرى ٠ ان الله يرعى هذا الطفل بوسيلة لانعلمها ويرضعه من حيث لا نعلم لانه على كل شىء قدير وسوف يحفظه الرب من فرعون وجنوده كما نجى ابنى « موسى » وهو يرعى عبيده العبرانيين اكراما لآبائنا ابراهيم واسحق ويعقوب أنبيائه المكرمين .

رأى عمران فى موسى السامرى :

قصت « يوكابد » على زوجها « عمران » موضوع الطفل « موسى ابن أبشيلة » الذى تخفيه أمه على التل ولم يرضع من ثدى أمه ورغم ذلك فهو يعيش سليما كأى طفل عادى ٠

فتعجب « عمران » مما سمع وقال لزوجته « يا أم هارون » لقد أدهشنى ما سمعت منك بأن الرب يرعى رضاعة هذا الطفل مع أنه سفاح من سفاح ٠

فقالت له : « يوكابد» انك تزيد الامور تعقيدا فهلا أفصحت القصد والاجابة

فقال عمران : أقصد أنى أعجب من رحمة الله الواسعة نحو هذا الطفل الذى جاء من سفاح وينحدر أصله من سفاح أيضا من عشيرة « زارح » سبط « يهوذا » الذى زنى فى كنته « زوجة ابنه المتوفى فحملت منه وولدت « زارح » .

فأطرقت « يوكابد » قليلا ثم رفعت رأسها الى السماء وقالت « يا ربى أنت أعلم بنساء عبيدك بنى اسرائيل وما ارتكبوه من خطايا بسبب قلة الرجال لان الاطفال الذكور يذبحهم فرعون ظلما وتضاعفت أعداد الاناث حتى يخشى على انقراض نسلك من العبرانيين الموحدين بك فارحم يا ربى عبيدك وتجاوز عن خطاياهم انك الغفور الرحيم » ٠

فقال عمران : اللهم ابعث فى بنى اسرائيل نبيا منهم ينقذهم من ظلم فرعون ومن القتل والعذاب واستحياء النساء ليكثر نسلهم على الشريعة ويعبدوك فى أمان ٠

موسى : حضر فى هذا الوقت فسأل أبوه « عمران ما هذا الدعاء الذى يسمعه منه فذكر له « عمران » ما سمع من زوجته « يوكابد » ثم قال لها اذكرى لابنك « موسى » تفاصيل ذلك الطفل « موسى ابن أبشيلة » الذى سمى على اسم ابنك موسى تيمنا به فقصت « يوكابد » على ابنها موضوع « موسى ابن أبشيلة » وأن

امه قد أخفته على التل بين الشجر ولم يعرف من يرضعه وهو لا زال حيا يرزق فى ذلك المكان الموحش ٠

فقال موسى : ان الله يعلم غيب السموات والارض وهو على كل شيء قدير

نصرة موسى للعبرانيين :

نفذ موسى ، ما تعاهد عليه بأن يكون ظهيرا للعبرانيين وعرف «موسى» بين المصريين والاسرائيليين بانصاف المظلوم ومناصرة الحق واشتهر بالشجاعة والقوة بجانب نفوذه الملكى فكان يلقب « بموسى ابن فرعون » لانه ربيب الملكة

وفى أحد الايام ـ كعادته ـ خرج من قصر فرعون الذى فى مشارف العاصمة « بر رعمسيس » ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته من بنى اسرائيل على الذى من عدوه من المصريين لان المصرى يريد أن يسخر العبرى ليحمل حملا ثقيلا فوق طاقة العبرى فتدخل موسى بينهما ليقنع المصرى بعدم استطاعة العبرى على حمل ذلك الثقل الكبير فلم يقبل المصرى وأبى أن يتركه فأمسك موسى بالمصرى ليخلص منه العبرى ووكزه موسى فقضى على المصرى ومات فواراه التراب ولم يره أحد ولكنه ندم على فعلته لانه لم يكن يقصد قتله وقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم ثم تاب الى الله وقال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين ٠ فأصبح فى المدينة خائفا يترقب خشية أن يكتشف أمره فيحاكم أو يؤذى من المصريين ٠

فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه فنهره موسى غاضبا وقال له انك لغوى مبين فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما ظنه العبرى أنه سيبطش به نفسه فقال له يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين وجرى المتشاجران من أمام موسى خوفا على حياتهما وذهب المصرى فنشر الخبر فى المدينة بان الذى

قتل المصرى بالامس هو ((موسى ابن فرعون)) • وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى من المؤمنين من شيعته عندما سمع بالخبر يتناقله المصريون فى أحياء المدينة وتجمهروا مطالبين بانزال القصاص بالقاتل مهما كانت شخصيته • وقال الرجل يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب وقال رب نجنى من القوم الظالمين ولم يذهب الى قصر فرعون بل أسرع الى بيت « عمران » أبيه ليختبىء فيه حتى المساء ويخرج من المدينة فى جنح الليل ولما وصل البيت أخبر والدته « يوكابد » بما حدث فقالت له والدته حزينة باكية فلنهيىء لك الرحيل بأن تتخفى فى ملابس أخيك هارون وتركب حمارا عند منتصف الليل وتخرج فى جنح الظلام بعد أن نهيىء لك الزاد ليعينك فى الطريق والله يهديك السبيل الى المكان الذى يرشدك اليه الرب الرحيم ويؤيدك بالروح القدس الذى آنس ابراهيم فى وسط النيران وكان مع يوسف فى الجب وأنقذ اسماعيل من الذبح • وتلك الايات أسوقها اليك لتقوى ايمانك بالله وتتوكل عليه فى سفرك وتترك له تدبير أمرك فى حلك وترحالك الى المكان المجهول الذى قدره الله لك فى علمه السابق • وها أنا اليوم قد ربط الرب على قلبى كما حدث لى عندما ألقيتك فى اليم وأنت طفل رضيع عسى الله أن يردك الى سالما معافى ولا أدرى مايخبئه لك القدر فبيده الخير وهو على كل شىء قدير •

الفصل الثانى

خروج موسى من مصر
الى وادى مدين

عند منتصف الليل تسلل « موسى » على حمار لابيه وغادر المدينة متجها الى جهة الشرق وسار خلفه أخوه هارون وأخته مريم يتبعانه على بعد الى خارج المدينة حتى اختفى فى ظلام الطريق واطمأنا على نجاته من أهل المدينة ولم يشعر موسى بخوف أو وجل فى الطريق أو فى ظلام الليل البهيم بل كان الطريق أمامه كوضح النهار وكان يحس أن معه ألف رجل يحرسونه فى الطريق كذا لم يعتريه أى خوف أو وجل بل سار بقلب مطمئن ثابت ويترك لحماره أن يسير كيفما شاء واذا به يسير حتى وصل الى نهاية الحدود المصرية من جهة الشرق ثم استمر فى طريق القوافل عبر الصحراء بسيناء يقطع الفيافى والجبال فى صبر كامل وينزل عند بعض الاعراب المتناثرين فى الصحراء فكانوا يكرمونه ويقدمون له الطعام ويبقى عندهم ما يشاء حتى يعزم على الرحيل فيودعونه بأجمل ما استقبلوه به ويزودونه مما عندهم من طعام وماء ٠ الى أن حفيت أقدام حماره فلم يستطيع السير فى وسط الجبال وسقط الحمار من التعب مريضا على الارض فتركه حيث هو وسار منفردا على قدميه وعلى غير هدى حتى وصل الى وادى مدين وهو المكان الذى حول مدينة العقبة حاليا .

مروءة موسى :

ولما وصل الى بئر مدين وجد جمعا من الرعاة يسقون أغنامهم ورأى من دونهم امرأتين تحاصران أغنامهما حتى لا يختلطا بالغير وحتى ينتهى الرعاة وينصرفوا ويتقدماهما لسقى أغنامهما فسألهما موسى ما خطبكما فقالتا له لا

نسقى حتى يصدر الرعاة لاننا لا نستطيع مزاحمة الرجال وأبونا شيخ كبير لا يستطيع أن يحضر معنا فقام موسى وأزاح الغطاء عن البئر وسقى لهما ثم تولى الى الظل ـ وقال فى نفسه رب لما أنزلت الى من قوة فأنا فقير لا أملك الطعام ·

الشيخ الصالح « شعيب » :

وبينما موسى يشغل نفسه بالرؤيا الى البئر والسقى اذ رأى احدى المرأتين قد جاءته على استحياء وقالت له أن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فنهض وسار خلفها ولكنه لاحظ أن الريح تلفح ثوبها فيلتصق بجسمها فأشار لها أن تسير خلفه وترشده الى الطريق بالقول والاشارة .

ولما وصل بيت الشيخ الكبير وهو سيدنا « شعيب » رحب به وأحسن مثواه وأكرمه كل الاكرام وبعد أن تناولوا جميعا طعام العشاء سأل شعيب ضيفه عن اسمه وعن حاله فقص عليه قصته ، قال له الشيخ الكبير « شعيب » نجوت من القوم الظالمين وبعد ثلاثة ايام من الضيافة عند الشيخ وبعد ان سمع شعيب من بنتيه عن قوة وشجاعة موسى ثم مروءته وعفته ـ قالت احداهما : يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وصادف هذا القول هوى فى قلب شعيب فقال لموسى يا بنى انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ـ ستجدنى ان شاء الله من الصالحين ·

زواج موسى :

قال موسى قبلت أن أتزوج أحد ابنتيك على أن أخدمك صداقا لها لانى لا أملك مالا ذلك بينى وبينك وايما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل ·

وبعد أن قضى موسى الاجل يعمل فى بيت شعيب وحقله ويرعى له الغنم ويزرع له الارض ويسقى له الحرث ويجمع له الثمر وكان فى كل ذلك مثال

الامانة والاخلاص فى العمل وفاء لمهر زوجته وبعد تلك السنوات العشر التى تطوع موسى فزاد سنتين على الثمانية فضلا وكرما تزوج من ابنة شعيب تلك التى طلبت من أبيها أن يستأجره . وعاش موسى سـعيدا مع زوجته وأنجب منها ولدين أحدهما يدعى « جرشوم » والاخر يدعى « أليعازر»

وظل موسى وفيا لصهره « شعيب » يقوم على مصالحه ويرعى شئونه كما كان وقد منحه صهره بعض الاغنام له خاصة · وقضى موسى على هذه الحال عشر سنوات أخرى فى مدين قرير العين بأهله معززا مكرما مع « شعيب » وقومه ·

عودة موسى الى مصر :

وبعد أن قضى موسى عشرين عـامـا فى مدين عـاوده الحنين الى وطنه « مصر » واشتاق لرؤية والديه واخوته وتاقت نفسه لمشاهدة الارض الطيبة والمزارع الخضراء والبساتين الغناء والمروج الفيحاء وليشرب من ماء نيلها المقدس · وبجانب تسلط هذه الاحاسيس على عقله كان يسمع هاتفا يناديه « ارجع يا موسى الى مصر فقد حان ميعاد الخلاص » فأخذ هذا النداء يذكره بما دار بينه وبين والده « عمران » قبل عشرين عاما ولكن أنى له بهذه الذكريات وقد مضت عليها السنوات الطوال وصارت نسيا منسيا ·

فقص على صهره « شعيب » الامر كله وتدارس معه تلك الذكريات وعما اذا كان لها ارتباط بهذا الهاتف الذى يسمعه . فقال له « شعيب » بعد اطراقة طويلة ابشر يا ولدى فانها ارهاصات النبوة وأسأل الله أن يمد فى عمرى حتى أعلم خبرك وأتمتع برؤياك ثانية فلقد حرمت النار على جسد كل مؤمن يراك بعد الرسالة · وعلى بركة الله يكون رحيلك · وفى رعاية الله تكون اقامتك · وبنصر الله يتوج جهادك · وبأمر الله يكون ايابك ·

واخذ موسى يجمع متاعه ويجهز راحلته له ولزوجته ولاولاده ويعد زاده لعائلته واغنامه كما وهبه صهره اغناما أخرى له ولاحفاده · ولما حان ميعاد

الرحيل جاءه « شعيب » يودعه وأهله وقال له يا موسى انى رأيت فى منامى الليلة من يأمرنى أن أسلمك هذه العصاة وأنها قد توارثتها الانبياء من سيدنا ابراهيم الى اسحق الى يعقوب ثم الى يوسف وانى كنت احتفظ بها عندى حتى جاء الامر بتسليمها اليك ـ والله يجعل لكل شىء سببا فاستلم موسى العصا شاكرا وقال الحمد لله تبارك الذى بيده الملك ٠

وغادر موسى وأهله « مدين » الى جهة الجنوب فى محاذاة ساحل بحر القلزم حتى وصل الى أسفل شبه جزيرة سيناء ثم سار مع الشاطىء شمالا فى محاذاة الساحل فى البر الشرقى لخليج السويس حتى وصل تجاه جبل الطور ٠

موسى نبى ورسول :

ولما وصل موسى الى شاطىء الوادى الايمن من جبل الطور حط رحاله على السفح ٠ وكانت ليلة باردة ظلماء من ليالى الشتاء القارص فأخرج موسى زناده ليقدح شررا ليشعل نارا يصطلى عليها هو وزوجته وأولاده فلم يوفق فى ذلك وتعذر عليه اشعال النار فأخذ يبحث فى المنطقة التى بها عساه أن يجد نارا عند أحد الاعراب المنتشرين فى صحراء سينا الذين من عاداتهم أن يوقدوا النار طوال الليل أمام خيامهم ليستفيدوا بها ويهتدى بها ضالو الطريق ٠

فرأى موسى نارا على الجبل فقال لاهله « امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون أسرع الى مكان النار ولما أتاها وقف مبهوتاحيرانا اذ وجد النارفى وسط الشجرة ذات الورق الاخضر وهى لا تطفأ ولا تشتعل وبينما هو فى لحظة هذا التأمل والتفكير ألقى فى قلبه أنها ليست نارا تحرق ولكنها أنوار قدسية تشرفت بها تلكم الشجرة وما لبث أن سمع النداء الكريم من قبل الله عز وجل فى البقعة المباركة من الشجرة أن **بورك من فى النار ومن حولها يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ٠ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا اله**

الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى • فخر موسى ساجدا شاكرا يسبح بحمد ربه ويقدس له ووجد موسى نفسه قد لفه النور الالهى من كل جانب لأنه فى مقام القرب وأصـــبح كلام الله له محيطا بجميع أجزائه تستشعره حواسه بلا حرف وبلا صوت ووعىعقله ومداركه وفؤاده معانى الالفـــاظ والكلام بغير لغة أو نطق • وأنه لموقف ليس لبشر أن يعبر عنه بقلمه لانه فوق قدرة التعبير البشرى وفقط يحس بهذه الحال النورانية وينعم بجمال هذه المواقف الالهية فى حضرة قدسه الكريم بعض الخاصة من المؤمنين الذين اختصهم الرحمن بالقرب من أوليائه المفضلين والعارفين بالله المكرمين

كلام الرب لموسى :

ولقد دار الحديث بين موسى وربه على الوجه التالى :

قال الله : ــ وما تلك بيمينك يا موسى ؟ •

قال موسى : هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى •

قال الله : الق عصاك .

موسى : « فلما رآها تهتز كأنها جان » .
ألقاها فاذا هى حية تسعى •
ولى مدبرا ولم يعقب •

قال الله : يا موسى أقبل ولا تخف أنك من الآمنين .
انى لا يخاف لدى المرسلون •
خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى •

قال موسى : غفرانك ربى فلم يكن لى به علم من قبل ولن أخافه من بعد .

قال الله : أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء .
فى تسع آيات الى فرعون وقومه •

موسى : يضم يده الى جناحه فتخرج بيضاء للناظرين .

سبحانك يا ذا الجلال والاكرام انك على كل شيء قدير .

قال الله — ذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه .

انهم كانوا قوما فاسقين .

لنريك من آياتنا الكبرى .

اذهب الى فرعون انه طغى .

موسى : رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون .

رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى .

واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى .

واجعل لى وزيرا من أهلى « هارون أخى » .

أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى .

فهو أفصح منى لسانا .

فأرسله معى ردءا يصدقنى .

انى أخاف أن يكذبون .

قال الله : لقد أوتيت سؤلك يا موسى .

سنشد عضدك بأخيك .

ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما .

اذهب أنت وأخوك بأياتى .

ولا تنيا فى ذكرى .

اذهبا الى فرعون أنه طغى .

فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى .

قال موسى وهارون : ربنا انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى .

قال الله : لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى .

فأتياه فقولا أنا رسولا ربك .

فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم .

قد جئناك بآية من ربك ·
والسلام على من اتبع الهدى ·

قال موسى : ان هذا لهو البلاء المبين .

قال الله : لقد مننا عليك مرة أخرى .
أذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن أقذفيه فى التابوت ·
فاقذفيه فى اليم · فليلقه اليم بالساحل ·
يأخذه عدو لى وعدو له ·
وألقيت عليك محبة منى ·
ولتصنع على عينى ·
اذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله .
فرجعناك الى أمك ·
كى تقر عينها ولا تحزن ·
ثم قتلت نفسا ·
فنجيناك من الغم ·
وفتناك فتونا ·
فلبثت سنين فى أهل مدين .
ثم جئت على قدر يا موسى ·
واصطنعتك لنفسى ·

موسى : خر ساجدا شاكرا واستأذن من ربه راجعا .
الى زوجته حيث تركها فى سفح الجبل ·

زوجة موسى « صفورة » تشجعه :

رجع موسى الى أهله من فوق الجبل بعد أن تشرف بكلام ربه له وأوامره اليه لينقذ شعب بنى اسرائيل من فرعون ويخرجهم من أرض مصر الى الارض المقدسة بفلسطين ولما رأته زوجته « صفورة » عجبت من رؤيته اذ كان وجه

موسى يشع منه النور ويلمع جسمه كله سناء وبهاء وسألته عن طول غيابه على الجبل فقص عليها مارأى وماسمع من الله عز وجل فقالت له «صفورة» وأيم الله لقد أصبحت من هذه الليلة نبي الرب ورسوله ولقد أخبرني أبي من قبل أنك رجل مبارك وان العصا التي أعطاها لك عند سفرنا لايقوى على حملها الا نبي مرسل وقضى موسى وزوجته تلك الليلة ساهرين لا يغمض لهما جفن يفكران سويا فيما ألقى على عاتق موسى من مهمة شاقة وعمل جليل ضخم لا يقوى على أدائه كاملا كما ينبغي الا ملك بجيش جرار يحارب فرعون العنيد من أجل اخراج بني اسرائيل عنوة منه فقالت «صفورة» انك لسلطان في ملكوت الرب مؤيد بألف من الملائكة وان هذه العجائب التي منحك الله اياها والايات التسع التي خصك بها تزول امامها جحافل الجيوش وتندك بها صروح الجبابرة وما فرعون وقومه الا بشر وعبيد من عباد الله الضعفاء أمام قوة الرب القهار والمنتقم الجبار هيا بنا الى مصر لنقذف بالحق على الباطل فيدمغه ونحطم حصون الشرك والوثنية لننقذ أهلك وعشيرتك عقيدة التوحيد وملة آبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ·

نزلت هذه الكلمات من زوجته « صفوره » على قلب موسى بردا وسلاما وزادته قوة وافتخارا بأنه النبي لقومه والمسئول عنهم مرسلا من قبل الله ·

وسار موسى وأهله الى مصر محاذيين ساحل خليج السويس الى البر الشرقي حتى غادروا شبه جزيرة سيناء عند قرية القلزم « السويس حاليا » في طريق لا يزيد عرضه على متر واحد وسط السياحات الكثيرة في شمال السويس ·

الفصل الثالث

رجوع موسى لأرض مصر

ودخل موسى وزوجته وأولاده أرض مصر بعد أن مكثوا شهرا وأكثر منذ خروجهم من « مدين » وساروا شمالا فى الطريق المعروف حاليا بين السويس والاسماعيلية ثم توجهوا الى الغرب فى الطريق الى بلبيس حاليا ثم وصلوا اخيرا الى مدينة فرعون « بر رعمسيس » العاصمة الثانية للامبراطورية المصرية باقليم الشرقية • ولم يتعرف أحد على موسى فى المدينة لانه قد تغير حاله فى السنوات العشرين التى قضاها بعيدا عن مصر فى « وادى مدين » فكان يلبس زى الاعراب وهى ملابس من الصوف الخشن تناسب شظف العيش وعمل الرعاة فى الصحراء والجبال وكانت لحيته طويلة سوداء تتخللها شعيرات بيضاء حيث كان فى سن الاربعين وقتئذ كما كان شعر رأسه طويلا يخفيه فى لمة تحت غطاء راسه ويلبس بقايا نعل فى رجليه فقدتا كلاهما من السير فى وسط الجبال •

وما ان وصل موسى الى المدينة حتى توجه مسرعا الى بيت أبيه « عمران » فى طرف المدينة من الجهة الجنوبية وما أن دخل المنزل وكان بعد غروب الشمس بقليل حتى عرفه فورا أخوه هارون وأخته مريم رغم تغير الملامح والمظهر وكذلك عرفته أمه بمجرد سماع صوته وكانت مفاجأة سارة للجميع فتعلقوا جميعا بعنق موسى يمطرونه القبلات واخذت أمه تتحسس جسمه كله وتضمه الى صدرها وتقبل كل جزء فيه حتى قدميه •

كما استقبلوا زوجة موسى وأولاده بالفرح والسرور والعناق وأنزلوهم على عرش قلوبهم محبة وحنانا وسأل موسى عن أبيه « عمران » فقيل له أنه توفى من قبل ذلك بعدة سنوات •

وبعد أن تناولوا جميعا العشاء وهدأت قليلا ثورة العناق والسلام أخذوا يتسامرون في بهجة واشتياق ليعرف كل منهم ما حدث للاخر فى هذه الحقبة من الزمان بعد أن انقطع الرجاء فى هذا اللقاء . وكانت « يوكابد » تجلس ولدى موسى على فخذيها وتقبل كليهما لحظة بعد أخرى وأجلست أمهما على يمينها وأجلست ولدها « موسى » على يسارها .

يوكابد : بدأت تسأل موسى عن زوجته العزيزة وولديه الاعزاء ...

موسى : فقص لهم موسى قصته فى العشرين عاما التى مضت وكيف تزوج زوجته تلك « صفورة » ابنة الشيخ الكبير الصالح « شعيب » صاحب الفضل عليه بأن آواه وكفله وعاش فى كنفه وحماه وزوجه من ابنته هذه ثم منحه عند رحيله من « مدين الى مصر » قطيعاً كبيرا من الاغنام التى هى معه الان .

يوكابد : فهز هذا الحديث مشاعر « يوكابد » واعتبرته فضلا كبيرا واحسانا عظيما من « شعيب » على ولدها موسى فكبرت «صفورة» مقاما واعزازا فى عينى « يوكابد » ونذرت لتخدمن « صفورة » عشر سنوات تكريما لها على صنيع والدها « شعيب » على موسى . وان لم يطل بها العمر لانها فى الخامسة والستين من عمرها لتوفين « مريم » ما بقى من سنى النذر .

موسى : كما استرسل موسى فى حديثه يقص ما حباه الرب به أخيرا بأن بعثه نبيا ورسولا لبنى اسرائيل .

يوكابد : فتهللت أمه بالفرح والسعادة وقالت الله أكبر قد جعل ربى رؤيتى حقا . بعد أربعين عاما ثم قالت زم زم يا بنى حتى لا يسمعك المارة بالطريق فيشون بك الى فرعون فيأمر بقتلك أو صلبك فان فرعون لعال فى الارض ومن المسرفين فى العقاب . فانى أريدك أن تعيش معى فى هدوء وسلام حتى أسعد برؤيتك بجوارى قرير العين موفور الصحة لأنعم بك فى السنوات القليلة من عمرى بعد أن

قضيت أكثر عمرك بعيدا عنى وأنا محرومة منك وما ذلك على قلبى هينا ٠

فقال موسى : لا : فقد أمرنى ربى أن اذهب الى فرعون أنا وأخى هارون ونطلب منه أن يأذن لبنى اسرائيل بالخروج معنا من مصر الى فلسطين ليعبدوا الله فى البرية واذا رفض سأريه آيات الله ومعجزاته التى خصنى بها الرب واذا تمادى بالرفض وأصر على عناده سلط الرب عليهم العــذاب الوانا منتشرة من الجـــراد والقمل والضفادع والدم ومن هلاك فى الحرث والنسل حتى يخضع أخيرا لامر الله .

القيام بأعباء الرسالة

تشاور موسى وهارون فى الامر الذى سيقومان به عند فرعون من أجل العبرانيين واستقر رأيهما على أن يتفقا أولا مع شيوخ بنى اسرائيل على الخروج وأن يقفوا خلفهم صفا واحدا مطالبين بهذا الحق حتى يخرجوا من مصر ويعبدوا الله فى البرية ٠

طلب موسى من أخيه هارون أن يقوم بمهمة الاتصال بشعب بنى اسرائيل فانهم يسكنون فى قريتين بجوار مدينتهم ولا تزيد المسافة عن العشرين كيلو مترا كما طلب موسى من هارون أن يهيىء له زيارة الملكة «است نفرت» زوجة فرعون نظرا لان « هارون » يشغل وظيفة أبيه « عمران » بعد وفاته وهى رئيس ادارة مواشى فرعون وبحكم هذه الوظيفة يستطيع أن يدخل قصر الملك بسهولة وخاصة أن الملكة لو سمعت بوجوده ستفرح به كثيرا ٠

قال هارون سأذهب الان الى قصر الملك فرعون لبعض الاعمال التى تتعلق بالمواشى ولاجهز لرئيس الطهاة ما يطلب من الطيور والخراف واللحوم اللازمة للقصر وكذلك أستأذن فى مقابلة الملكة وأخبرها بحضور موسى وستفرح بهذا الخبر كثيرا وفى الوقت نفسه أيضا تخبرها مريم بحضوره لانها لازالت ملحقة

بالخدمة فى جناح الملكة الخاص وأن موسى يستأذنها فى الحضور للسلام عليها كما أنى سأتوجه فى المساء الى القرى والكفور المجاورة التى يقطنها بنو اسرائيل لمقابلة شيوخهم وأخبرهم بموضوع خروجهم من مصر ونقف على رأيهم ٠

وعندما علمت الملكة « است نفرت » من هارون ومريم بنبأ حضور موسى سرت كثيرا وطلبت من هارون أن يحضره لها فورا وفعلا ارتدى موسى من ملابس أخيه رداء جديدا وسار مع أخيه هارون ودخلوا جناح الملكة وقابلوا الملكة وفرحت بلقائه فرحا لا مثيل له اذ كانت فى شيخوختها وقد قاربت الثمانين عاما فأخذ موسى يقبل يديها شوقا وحبا لرؤيتها ولها عليه حقوق التربية منذ طفولته حتى أصبح شابا وكان اللقاء بينهما مؤثرا وجرت الدموع من عيونهما بلا ارادة تعبيرا عن العاطفة القلبية والاشواق الحارة بينهما وقربته اليها فى مجلسها حنانا واكراما وعلم من فى القصر بنبأ حضور موسى ووصل النبأ الى فرعون فى مخدعه لانه كان شيخا هرما ناهز مائة عام وأخذته الملكة وذهبت به فى مجلسه واستأذن موسى من فرعون أن يسمح بمثوله وأخيه هارون بين يدى فرعون فى قاعة العرش لامر هام فى اليوم المخصص ليوم المظالم فأذن له فرعون فى أن يقابلاه فى الاسبوع التالى فى قاعة العرش وانصرف موسى شاكرا بعد أن قبل يد الملكة فطلبت منه أمه أن يحضر اليها فى غد ذلك اليوم حتى تأنس به وتشبع نفسها منه بعد أن حرمها هذه السنوات الطويلة من رؤيته ورجع موسى وهارون من القصر مسرورين بهذا اللقاء الاول وذهب هارون الى عشائر بنى اسرائيل وقابل شيوخهم وشرح لهم أن الله قد استجاب لصراخ بنى اسرائيل من العذاب الواقع بهم فأرسل فيهم أخاه موسى نبيا لهم وقد كلمه الله على جبل سيناء وأمره أن يذهب الى فرعون ليسمح بخروج بنى اسرائيل من مصر الى أرض فلسطين ليعبدوا الله فى البرية ويتخلصوا من هذا الظلم والذل والهوان الذى يلاقونه على يد المصريين فاستجاب شيوخ العبرانيين لهذا النداء الالهى وأعطوا المواثيق والعهود وأقسموا بصحف ابراهيم « لهارون » على أن يكونوا جميعا وراء موسى وهارون مطيعين للامر لا يتخلف عنهم أحد ورجع

هارون الى موسى وأخبره أن جميع شيوخ العبرانيين قد وافقوا على الخروج من مصر ولن يتخلف منهم أحد وأخذ عليهم العهد على ذلك فاطمأن موسى عندئذ على أن بنى اسرائيل لن يخذلوه ولن يتخلوا عنه عند الخروج حتى يكون طلبه من فرعون مستندا الى موافقة صريحة وجماعية منهم ٠

وفى ثانى يوم ذهب موسى الى جناح الملكة وقابل أمه الملكة « است نفرت » ودار بينهما الحديث التالى :

الملكة : خبرنى يا موسى أين قضيت العشرين سنة التى غبت فيها عنا ؟

موسى : يا أماه لم أبعد عنك بارادتى ولكن كنت مكرها على الفرار خوفا من قتلى عندما علم أهل المدينة أنى قتلت منهم رجلا كان يعتدى على أحد العبرانيين وذهبت الى وادى مدين خلف جبال سيناء وهناك قابلت نبيا كريما يدعى « شعيب » خدمته عشر سنين فى مقابل أن يزوجنى احدى ابنتيه وتزوجتها فعلا وأنجبت منها ولدين وبعد عشر سنوات أخرى قضيناها فى « وادى مدين » اشتقت الى مصر وحضرت أنا وزوجتى وأولادى الى هنا فنزلت فى بيت اخى هارون خادم الملك لاكون قريبا من القصر حتى اتمكن من الاستئذان فى المثول بين يديك شوقا لرؤياك يا أماه ٠

الملكة : عجبا يا بنى ما أراه فيك لقد ربيتك عشرين عاما لم أر منك ما أراه اليوم يا موسى ٠

موسى : ماذا يا أماه .

الملكة : انى أرى جسدك يشع منه ضياء يا بنى لم أشاهده مطلقا فى أحد ولا فى الكاهن الاكبر ٠

موسى : ان هذا الذى ترينه فى جسمى أثر من البهاء الالهى الذى حل على جسدى من نور الله الذى رأيته فى الشجرة على جبل الطور بسيناء فى البقعة المباركة هناك ونادانى الرب من وسط النور أنى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى ٠

الملكة : بوركت أنت ياموسى الآن قم فمر بيدك على محيط جسمى لتشفى ساقى لانى لا أستطيع المشى الا بصعوبة ·

موسى : يمر بيديه فوق الشال الحريرى الذى تغطى به ساقيها فتقف منصوبة وكأنها نشطت من عقال ·

الملكة : تفرح وتعانقه وتقول له مبارك أنت حقا يا ابنى وسأخبر فرعون بالنور الذى يظهر منك والبركة التى بين يديك حتى يعينك كبيرا للكهنة لتبارك الشعب المصرى وتصبح نعمة كبرى لمملكة مصر العظمى وتحميها من أعدائها بجهة الغرب ويتم النصر عليهم ـ على يد جيشها المصرى المظفر تحت قيادة ابنى ولى العهد منفتاح الاول الذى يطارد الان جيش ليبيا على الحدود الغربية لمصر) ·

موسى : شكرا يا أماه وأدعو الرب أن يجعل النصر لاخى منفتاح على جيوش الاعداء الليبيين وأما أن أكون، كاهنا يا أماه فى المعبد للاله حور فهذا مالاأقبله فان عقيدة أمتى يا أماه هى توحيد الرب الذى هو اله واحد خلق السموات والارض وجميع البشر وهو الذى أرسل الانبياء اجدادنا وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف للناس ليهدوهم لعبادة الله الواحد الاحد ·

الملكة : بتكليم وبظهور الرب اليك يا ابنى على جبل سيناء قد أصبحت أنت أيضا نبيا مباركا حيثما كنت ·

موسى : لقد أرسلنى ربى نبيا لشعب بنى اسرائيل لاخلصهم مما هم فيه من ذل وهوان وليعبدوا الرب فى البرية وليقدموا له الذبائح والقربان شكرا على نعمته عليهم ان هداهم للايمان فآمنوا واعبدوه وحده دون غيره لان الرب المقدس خالق الاكوان والبشر اجمعين ·

الملكة : ان لكلامك حلاوة يا ابنى انه يسرى فى جسمى فيملأ قلبى بنور الايمان، فيطرد من فكرى ظلام الكهنوت الذى بلغته لنا رجال الدين من اله الشر والحب والحرب والموت والزراعة ثم الاله رع والاله

حور وهى أسماء لم نر آلهتنا ولكنهم زينوا لنا عبادتها وتقديسها الى أن أمروا الشعب أخيرا أن يعبدوا فرعون ابن الاله رع اله الشمس وما فرعون الا انسان كسائر الناس لا يملك لنفسه دفع الشيخوخة أو يوقف الشمس ألا تغرب أو يمنع القمر من أن ينير فليس له سلطان على هذا الكون مطلقا ·

موسى : الان يا أماه قد أصبحت مؤمنة وسيغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وبعد فلك الجنة فى الحياة الاخرة مع النبيين والمؤمنين ·

الملكة : أحقا ما تقول يا بنى ان الرب يتوب على الذين آمنوا به ويدخلهم جنات النعيم ولو كانوا فى سن الشيخوخة من عمرهم ·

موسى : نعم يا أماه ان الله كتب لك الجنة منذ أنقذتنى من اليم وأقسمت على فرعون ألا يقتلنى وأنا طفل رضيع وانى أرى اسمك مكتوبا على جبينك « حوريت آمنت » أى « حرية مؤمنة » ·

الملكة : رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ·

خرج موسى من بيت فرعون منشرح الصدر بايمان الملكة لانها بذلكستكون نصيرته فى المستقبل لدى فرعون · وأمرت الملكة خادمتها « مريم » أن يحضر اليها موسى فى اليوم التالى لانها تريد الحديث معه مرة أخرى ·

وقد قص موسى على أمه وأخيه وأهله ما دار بينه وبين الملكة وبشرهم بايمان الملكة ففرح الجميع بهذا الخبر لانه أول الفتح لموسى وستكون له الملكة عضدا وسندا كما كانت له طول حياتها فان الرب قد سخرها لانقاذ حياته فى الصغر وفى عونه ومساعدته فى الكبر والله يؤيد بنصره من يشاء ·

ولقد جاء فى هذه الليلة عدد كبير منشيوخ بنىاسرائيل للسلام علىموسى واقسموا له كما سبق أناتفقوا مع هارون على أن يسيروا خلفه منمصر الى

الارض المقدسة بفلسطين وسرى هذا الخبر بين جميع العبرانيين سرا وأصبحوا ينتظرون ساعة الخلاص لهم على يد النبى موسى الذى أرسله الرب ولقنه نعمة من كلامه على جبل سيناء . وأخذت طوائف من العبرانيين تأتى الى موسى سرا فى الليل ليشاهدوا بينهم الرسول ومخلصهم المبارك وفى ضحى اليوم التالى حضر أحد الخدم من قبل الملكة ليصحب موسى الى جناح الملكة وهناك جلس مع الملكة ودار بينهما الحديث التالى :

الملكة : ابنى المبارك لقد نمت الليلة براحة لشفاء مفاصلى وسعدت برؤيا جميلة بأن ملائكة الرب قد نزلت من السماء وحطت بجوارى وهى تغنى حولى أنشودة الخلود « سلام على المؤمنين ... فى الجنة خالدين ... مقيمين أبد الابدين ... آمين »

موسى : بشراك أمى لقد قبل الله توبتك ورضى عن ايمانك وانزلك منازل المؤمنين حقا تنعمين فى الاخرة بمقامات القرب مع الانبياء والصديقين والشهداء .

الملكة : لقد أسعدتنى لان أكون مع الانبياء والصديقين والشهداء الذين ذكرتهم وهم ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وأنت ...

موسى : ان القرب ياأماه ليس كما تتصورين انه خلف الانبياء الذين ذكرتهم بل هى مقامات حسية لو قيست بالمسافات لكان بين كل مقام مسيرة عام . وأن الانبياء هؤلاء من بعض السابقين فقط ومنهم من لم أذكره لك ياأماه وهم نوح وادريس وصالح .

الملكة : أو هل هناك أنبياء ومرسلون آخرون يبعثون بعدك يا موسى ومن هم يا ترى ؟

موسى : نعم سيبعث من بنى اسحق داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى وسيرسل فى أحد الزمان من نسل اسماعيل خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم صاحب القبضة الاصيلة

والبهجةالسنيةوالرؤية العلية من اندرج النبيون تحت لوائه فهم منه واليه ·

الملكة : ولماذا يبعث الرب كل هؤلاء الانبياء ؟

موسى : لان كل نبى أو رسول يبعث لقوم بدينه بعد أن يغويهم الشيطان بالضلال وعبادة الاصنام والاوثان ·

الملكة : وماذا يفعل هؤلاء الانبياء مع أقوامهم ليقنعوا الناس بعبادة الله الواحد القهار ·

موسى : ان الله يؤيد كل نبى بمعجزات خاصة حسب ظروف قومه ومن أمثلة ذلك :

فالنبى صالح :

بعث لقوم يعبدون الاصنام فطلب منهم أن يعبدوا الله ويتركوا الاصنام فسألوه معجزة فقال لهم هذه ناقة الله لها شرب ولجميع مواشيكم شرب يوم معلوم والا تمسوها وكانت تشرب من الماء قدر جميع مواشيهم فى يوم ثم وسوس اليهم الشيطان فعقروها فأخذتهم الصاعقة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ·

والنبى نوح :

لما دعى قومه أن يهتدوا فلم يهتدوا أمره الله أن يصنع الفلك ويأخذ فيها من كل زوج اثنين من حيوان ونبات وطيور ثم فار الماء من الارض وأمطرت السمـاء فأغرق القوم الكافرين وكانت المياه على الارض فى ارتفاع الجبال ثم أمر الله الارض فابتلعت المياه وأمر السماء ان تمسك عن المطر واستوت السفينة على الارض ونزل منها المؤمنون لنوح والطيور والحيوانات والنباتات وعمرت الدنيا بالمؤمنين وقد رفض أحد أبنائه وهو كنعان أن يركب معه وغرق وركب معه أولاده الاخرون سام ويافث وحام ·

وكذلك النبى ابراهيم :

فكان قومه يعبدون الاصنام فكسر الاصنام فقرر القوم أن يحرقوه فأوقدوا له نارا كبيرة والقوه فيها ولم تمسه النار وخرج منها ابراهيم سليما لم يمسه سوء ولم يحرق جسمه وكذلك ولدت له زوجته سارة وهى فى الثمانين من عمرها اسماعيل واسحق من زوجة اخرى واسماعيل من هاجر وكذلك امتحنه الله بأن يذبح ابنه اسماعيل وقد افتداه الله بكبش فذبحه بدلا منه .

وأما النبى داود :

وهو صبى صغير يقتل عملاقا ملكا يحارب قومه وستسخر له الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب وسيكون الحديد فى يده لينا يصنع منه الالات والاسلحة دون صهره فى النار وسيعطيه الرب الزبور فيه يرتل المزامير للرب .

والنبى سليمان :

فسيكون سلطانا على الانس والجن والطير والرياح ويعطى ملكا لم يؤته أحد من العالمين ويسخر الجن له يفعلون كل ما يأمر به ويعرف منطق الطير والريح مسخرا له يحمله الى أى مكان غدوها ورواحها شهران .

والنبى يونس :

يرسل الى قوم فلا يسمعون الى نصائحه وارشاده للايمان بالله فيذهب غاضبا فيركب سفينة فى البحر ثم يرمى فى البحر فيبلعه حوت فيمكث فى بطنه ثلاثة أيام يسبح ربه ثم يلفظه الحوت على الشاطىء ويرجع الى قومه ليهديهم ثانية فيهتدون .

ثم النبى عيسى :

ويخلقه الله بأعجوبة كخلق آدم وحواء بأن تحمل به أمه مريم وهى عذراء بنفخة من الروح القدس فلم يكن له أب من البشر ويولد من أم فقط ويعطى من البينات والمعجزات فى الحكمة والطب فهو يشفى بأمر الله المرضى من البرص والفالج والصمم والعمى ويحيى الموتى باذن الله ويعطى الانجيل كتابا مقدسا ليبين للناس فيه أوامر الرب ثم يتآمر عليه اليهود الضالون ليقتلوه فينجيه الله منهم ·

أما النبى محمد صلى الله عليه وسلم :

خاتم الانبياء والمرسلين فيبعث فى آخر الزمان لقومه عبدة الاصنام والاوثان وللعالمين ويأتيهم بمعجزة القرآن الكريم فيكفرون به الا فئة قليلة مؤمنه فى أول الامر ثم ينصره الله على قومهوينتشر الاسلام فى بقاع العـــالم نورا وهدى ليخرج الناس من الظلمات والضلال الى نور الحق والايمان · وتظل هذه الشريعة المحمدية شمس الحقيقة للوجود الى قيـام الساعة لان الدين عند الله الاسلام ·

الملكة : يابنى لقد تمتع سمعى بسماع معجزات أنبياء الله والمرسلين السابقين منهم واللاحقين ولكنك لم تذكر لى ما أيدك الرب به من معجزات مثل أخواتك الانبياء ·

موسى : لقد وعدنى الرب أن يعطينى كتابا مبينا هو « التوراة » هدى ونور لبنى اسرائيل ولقد خصنى بمعجزات كبرى أمرنى أن اقدمها بين يدى فرعون عندما أمثل بين يديه فى الاسبوع القادم وأطلب منه أن يأذن لبنى اسرائيل أن يخرجوا من مصر ليعبدوا الله معى فى البرية ·

الملكة : أو خارج أنت من مصر ثانية مع بنى اسرائيل ؟

موسى : نعم وسأطلب من فرعون ذلك .

الملكة : ما أظنه يوافق على خروجهم من مصر وهم يعملون عنده عبيدا فى البناء وقطع الاحجار وصناعة الطوب ورعى المواشى وخدمة المنازل وحمل الاثقال •

موسى : نعم انى أعلم أنهم يسخرون فى كل هذه الاعمال والاعمال الاخرى الدنيئه التى يترفع عن القيام بها المصريون ولا يؤجرون على عملهم الشاق الا أجرا زهيدا يسد رمقهم مع أن العبرانيين أهل توحيد والمصريين عبدة أوثان يعبدون العجل أبيس . والالهة المتعددة رع وحور وكذلك يعبدون الطير والحيوانات ثم يعبدون فرعون أيضا •

الملكة : انهم يعبدون تلك الالهة المتعددة لتقربهم الى الرب زلفى ولو تعقلوا لعبدوا الله مباشرة بدون هذه الاصنام والاوثان ولكنهم يعتقدون فى البعث وعودة الروح للجسم وأن الاموات ستحيا فى الاخرة حياة الخلود أما فى الجنة واما فى السعير .

موسى : ان عقيدتهم هى عودة الروح والبعث حقيقة وأن الانسان يحاسب على عمله فى الدنيا ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وليس لنفس الا ماكسبت والعدل الالهى لاشك فيه ولكن الكهنة قد أفسدوا العقائد وادخلوا السحر والشعوذة فى أصول العقائد الدينية فأفسدوها وجعلوا من التمائم والتعاويذ السحرية والارصاد أعمالا تنفع الميت فى الاخره وهى لا تغنى عنه من الله شيئا وليس للانسان الا ماسعى ولا يظلم ربك أحدا •

الملكة : حقا يا ابنى ان الكهنة هم « أسباب الفساد لعقيدة المصريين » .

قال موسى : فلو عبد المصريون الله وحده بدون هذه الشوائب والاباطيل التى يحشرونها بين العبد وربه وامتنعوا عن أعمال السحر والتعاويذ للميت لخلصت العبادة لله الواحد الديان لان النفس مطبوعة بفطرتها على عقيدة التوحيد أخذا بالميثاق على الارواح عند بدء الخليقة عندما خاطبهم الله ألست بربكم قالوا بلى •

الملكة : ولكنهم اليوم غير مؤمنين فماذا يفعل الله بهم ؟

موسى : سيذيق الله آل فرعون أشد العذاب .

الملكة : رب نجنى من فرعون وعمله . وابن لى عندك بيتا فى الجنة .

موسى : يا أماه ان الرب الان قد ملأ فمك نعمة وعقلك حكمة فابشرى يالم موسى بالجنة فأنت أول المؤمنات من آل فرعون ٠

الملكة : حمدا لله الذى قبلنى فى ملكوته وغفر لى ذنبى وملأ قلبى من نور الايمان وسأشد عضدك عند فرعون وسأجعله هونا عليك حتى تخرج وقومك من مصر ان شاء الله آمنين ٠

عاد موسى الى منزله سعيدا قرير العين بما سمعت أذناه من الملكة وأن الله قد خصها بهذا الايمان فى هذا الوقت بالذات لتكون له ظهيرا وحاميا ومجيرا اذ ادلهم الموقف وجل الخطر ٠

موسى فى حضرة فرعون :

ذهب موسى الى قصر فرعون وهو يجلس فى قاعة العرش فى يوم المظالم المخصص للنظر فى أمور الدولة والنظر فى شكاوى الشعب ٠٠ ودخل القاعة فوجد فرعون فى هيبته العظمى يجلس فى أبهة الملك على كرسى عال مطعم بالذهب وعلى رأسه التاج المرصع بالاحجار الكريمة ومنقوش عليه قرص الشمس رمز الاله رع وتحفة قطع من الزمرد والماس يظهر لها بريق خاطف يأخذ بالالباب ٠

ويجلس على يمين الملك بعض الامراء ووزيره الاول ثم باقى الوزراء والمستشارون والحكام وكبار الجيش وعلى يساره يجلس الكاهن الاول ثم رجال الدين وكبار المصريين من الشعب ٠ ثميقف على مسافة منه بعض الجند المدججين بالسلاح ودخل موسى ومعه أخوه هارون لما مثل بين يدى الملك أدى التحيةوالسلام ولم يسجد لفرعون كما يفعل المصريون وهم أحد الجنود ان

ينبهه ليسجد فلم يستطع ان يتحرك من مكانه وكانت الملكة « است نفرت » تجلس فى مكان عال من القاعة خلف ستار لترى وتسمع ما يدور بالقاعة ولا يراها أحد ولما حضر موسى وهارون دار الحوار التـالى :

الملك : ماخطبك يا موسى ؟ ى

موسى : لقد أرسلنى الله نبيا لبنى اسرائيل وكلمنى على الجبل فى طور سيناء وأمرنى أن أحضر اليك وأطلب أن تأذن لبنى اسرائيل بالخروج معى من مصر حتى يعبدوا الله فى البرية .

فرعون : حتى انت ياموسى تتجرأ علينا بمثل هذا القول لاطلاق اليهودمن مصر ليعبدوا الهاغيرى ألم نربك فينا وليدا ولبثتفينا من عمرك سنين ؟

موسى : نعم أنى معترف بفضلكعلى فىالتربية ولكن يرجع الفضلالاكبر فى ذلكالىشفاعة الملكةفىالابقاء علىمن الذبحبعدان أمرتبقتل كل الاطفال الذكور من العبرانيين ٠

فرعون : وكذلك فعلتفعلتك التىفعلت وأنتمن الكافريناذ قتلتنفسامن المصريين ٠

موسى : حقا فعلتهاوأنا من الظالمين وغفر لى ربى هذه الزلة وأقسمت بعدها ألا أكون ظهيرا للمجرمين ٠

فرعون : ولماذا هربت من وجه العدالة ؟

موسى : فررت منكم لماخفتكم فوهب لى ربىحكما وجعلنى من المرسلين.

فرعون : هل حقا ما تقول ؟

موسى : نعم انى رسول رب العالمين حقيق على أنلا أقول على الله الا الحق ٠

فرعون : فما بال القرون الاولى ... ؟

موسى : علمها عندربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض‌مهدا وسلك‌لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجبه أزواجا من نبات شتى · لتأكلوا منها وترعوا أنعامكم · ان فى ذلك لايات لاولى النهى من هذه الارض خلقكم رب العالمين وفيها يعيدكم ومنها يخرجكم تارة أخرى ·

فرعون : وما رب العالمين ؟

موسى : ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى هو خالق كل شىء ووهب الانسان حواسه وعقله ليميز به فى الدنيا ويحيا حياة طيبة ويهتدى به اليه ليؤمن بربه ويعبده على حق .

فرعون : « للملأ من حوله » ألا تستمعون .... ؟

موسى : ربكم ورب آبائكم الاولين .

فرعون : ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون .

موسى : رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون .

فرعون : لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين .

موسى : أو لو جئتك بشىء مبين ؟

فرعون : ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين .

موسى : فألقى عصاه .

فاذا هى ثعبان مبين وذعر فرعون‌وقومه وجروا خائفين فأمسكه بيده فصار كما كانت من قبل .

فرعون : فهل من غيرها .. ؟

موسى : نعم ونزعيده فاذا هى بيضاء للناظرين وسطعت أنوارها بشدة مثل قرص الشمس فغشيت‌أبصارهم ولم يقدروا على‌النظراليها

الا اثنان رجل مؤمن من آل فرعون بالمجلس ويكتم ايمانه وأخرى مؤمنة من وراء الستار والناس لاتعلمها..ثم ادخل يده ثانيةفى جيبه وأخرجها كما كانت من قبل ... !!

فرعون : ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ؟

قال الملأ « بمجلس فرعون » أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم .

موسى : أتقولون للحق لما جاءكم ان هذا لسحرمبين .. أسحر هذا ..؟ فلا يفلح الساحرون .

قال الملأ : اجئتنا لتلفتنا عمـــا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين .

فرعون : أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ... ؟

فلنأتينك بسحر مثله .

فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى .

موسى : موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى .

فرعون : يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين .

فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وأنى لاظنه من الكاذبين .

هامان : سمعا وطاعة يامولانا المعبود ربالعباد والاكوانوالاله المقدس.
ابن الاله الاكبر رع رب الارباب فى الدنيا والاخرة لك الحياة المباركة .

فى الارض والسرمدية فى السماء .

فرعون : يقف ايذانا بانتهاء الاجتماع .

فيقف الجميع ثم يسجدون لفرعون ويخرجون بظهورهم ·

وأما موسى وهارون فلا يسجدون ويخرجون مع الخارجين ·

يوم الزينة :

«هو يوم عيد وفاء النيل الذى يحتفل به المصريون جميعا ابتهاجا بأن النيل قد وفى ما عليه من التزام بماء الفيضان الى منسوب معين هى اذرع معلومات فى عمق المياه تصبح كافية لرى الاراضى وسقى الناس والحيوان فبذلك تزرع الارض وتورق الاشجار ثم تحصد الزروع وتؤتى الحدائق أكلها والاشجار ثمارها عندئذ يعم الخير وتحيا النفوس فى عيشة راضية ·

ولهذا يقام فى هذا اليوم كل عام مهرجان دينى كبير يحضره فرعون والامراء ورجال الدين وحكام المقاطعات وكبار رجال الجيش وجميع طوائف الشعب ويزدحم النيل بسفن الاحتفال تتقدمه السفينة المقدسة لفرعون والامراء ويتبعها سفينة الكهنه وعلى سطحها فرق الموسيقى تحيط بعريشة فرعونية عالية يجلس داخلها الكاهن الاكبر وعروس النيل وهى التى يختارها الكاهن من بين فتيات الشعب ثم يلقى بها فى النيل فى هذا اليوم جزاء وفائه بالفيضان ·

وبعد انتهاء هذا الموكب المقدس والمسيرة الشعبية الكبرى خلف الاله فرعون · أقيم الحفل الكبير للسحره وتصدر السرادق فرعون والامراء على منصة عالية وجلس حوله كبار رجال الدين والوزراء وحكام المقاطعات وقواد الجيش ·

ثم وقف باقى أفراد الشعب من مختلف الطوائف حول الساحة الكبيرة للعرض وجاء أساطين السحرة فى عدد كبير بملابسهم الزاهية وطيلسانهم المميز يحملون على ظهورهم أكياسا مملوءة بأدواتهم واتخذوا مكانهم فى الساحة على الجانب الايمن لفرعون بعد أن سجدوا أمامه ·

وقال السحرة لفرعون : ائن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ·

قال فرعون : نعم وانكم اذا لمن المقربين ·

موسى : « وحضر موسى متكئا على عصاه ومعه أخوه هارون ومن خلفه شيوخ قومه من العبرانيين ووالدته « يوكابد » وزوجته « صفورة » وأخته « مريم » ومن الشبان « يوشع بن نون » ، « وموسى السامرى » ومن الصبية « جرشوم واليعاذر » ولدى موسى وباقى الفتية من بنى أسرائيل وقدم موسى التحية لفرعون. وحيا موسى فرعون تكريما له ولمركزه ملكا للبلاد ثم وقف قبالة السحرة مجتمعين وأشار اليهم بعصاه ــ ثم قال للسحرة « الويل لكم ان لم تعترفوا لفرعون بمعجزتى الالهية ونور الحق الذى يؤيدنى وانه ليس بسحر مثل عملكم . فلا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى .. » .

السحرة : « اهتزت فرائصهم لسماع هذا الانذار من موسى بأن الله سيهلكهم بالعذاب ان كذبوا . واستشعرت قلوبهم نور الايمان واستيقنتها أنفسهم بسلطان الحق المتجلى حينئذ فتبددت عن أفئدتهم غشاوة الكفر والضلال . ولكنهم خشوا فرعون ولما يرسخ الايمان فى قلوبهم بعد حتى يروا البرهان القاطع بتفوقه عليهم وانه ذو قوة من السماء وتكون عندئذ الحجة دامغة فيحق الحق ويبطل الباطل » .

فتنازعوا بينهم وأسروا النجوى ــ وقرروا أن يبالغوا فى اخفاء ما وقع فى قلوبهم من انذار موسى · وما وقر فيهم من ايمان حتى لا يكتشف أمرهم مقدما ــ فقالو :

ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ·

فرعون : أشار بيده .

كبير الحرس : « ينفخ فى نفير » ويقول :

ابداوا العمل ايها السحرة الامجاد .

ينصركم الاله فرعون ذو الاوتاد .

قال السحرة : يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين.

قال موسى : بل القوا .

السحرة : « فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وامتلات الســـاحة بثعابين وحيات كثيرة مختلفة الاشكال والاحجام يركب بعضها بعضا . »

قال موسى : ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون .

قال السحرة : نعم انا لسحرة وهذه حبالنا وعصينا قد أصبحت بسحرنا حياتتسعى أمامكوأمام الناس أجمعين فأتنا بما عندك انا نراك من الـــ .... !

موسى : فأوجس فى نفسه خيفة لان عصيهم قد صارت حيـــات وثعابين مثل ما ستصبح عصاه « فأوحى الله اليه لا تخف انك انت الاعلى والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » .

فألقى موسى عصاه .

فاذا هى ثعبان مبين ـ كأعظم ما يكون عليه ثعبان فى الوجود .

كبير الحجم طويل الجسم أسود اللون يقدح من عينيه الشرر .

وينفخ من فمه السموم فى فحيح محموم وصرير من أضراســـه وانيابه مسموع . ثم يضرب بلسان طويل ذى شفتين على جانبى فمه وبداخله فيصدر صوتا عاليا كالرعد فهلعت له قلـوب المشاهدين .

وأخذ يلقف تلك الثعابين والحيات واحدا واحدا ويبتلعها فى بطنه بسرعة مذهله حتى أتى عليها جميعا فى لحظات • ثم وقف على ذنبه فى وسط الساحة ناظرا تجاه فرعون فألقى الرعب فى قلبه وأوجس خيفة منه •

فأشار موسى الى الثعبان تجاه السحرة فأدار رأسه نحوهم •

وكانت هذه لحظة النصر التى انعقد لواؤها لموسى وذهل فرعون وقومه مما رأوا وكأن على رؤوسهم الطير وساد الجميع سكون رهيب فلم يستطع أحد من الاسرائيليين أن يبدى شعوره بفرحة النصر خوفا من فرعون وبطشه •

وعندئذ تقدم موسى يخطو باتزان الى وسط الساحة ووقف بجانب الثعبان فأخذ الثعبان وهو واقف على ذنبه يكبر ويتضخم حتى صار كعمود مرتفع فى السماء يربو على الثلاثين مترا فأرهب الناس وخشى القوم أن يبتلعهم فوجمت النفوس وتسمرت العيون نحوه وسكن الناس فى رهبة جامعة كانه يوم الحساب •

وقطع هذا السكون موسى بصوته الجهورى •

هل من منازل ••• ؟

لمن الملك اليوم ••• ؟

ففزع من فى السموات ومن فى الارض لهذا النداء الهائل •

فسمع صوت رهيب يجلجل من جميع الجهات كقصف الرعد •

تزلزلت له القلوب وصمت له الاذان واهتز له كرسى فرعون خوفا وحزنا • اذ تردد فى الجنبات صدى الاجابة لله الواحد القهار •

فخرت السحرة سجدا وهوى الثعبان الضخم الى الارض ساجدا •

فأمسكه موسى وصار عصاه كما كان ·

وعندئذ توجهت الاسماع الى صوت آخر يدوى من الســـحرة ·

السحرة : انا آمنا برب موسى وهارون ·

قال فرعون : آمنتم له قبل أن آذن لكم ·

انه لكبيركم الذى علمكم السحر ·

فلاقطعن أيديكم ···

وأرجلكم من خلاف ···

ولاصلبنكم فى جذوع النخل ·

ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ·

قال السحرة : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ·

والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض ·

انما تقضى هذه الحياة الدنيا ·

انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ·

وما أكرهتنا عليه من السحر ·

والله خير وأبقى ·

وقف فرعون ايذانا بانتهاء هذا السامر وجرى الجند للامساك بالسحرة المؤمنين لينفذ فيهم أمر فرعون فجروهم على وجوههم بشدة وغلظة وانفض الناس وذهب كل الى حال سبيله ورجع موسى وقومه بنصر الله ولكن فى سكون ورهبة من فرعون ان ينزل بهم العذاب او يأمر بقتلهم جميعا ·

واجتمع شيوخ بنى اسرائيل فى منزل هارون عقب يوم الزينة ذلك ودار بينهما الحديث التالى :

موسى : ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا أن كنتم مسلمين .

فقال القوم : على الله توكلنا .

بنى اسرائيل : ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين .

ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ٠

موسى : تبوؤوا لكم بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ..

واقيموا الصلاة وبشروا المؤمنين ٠

ربنا انك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا .

ربنا ليضلوا عن سبيلك ٠

ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم ٠

فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ٠

هارون : ان الله يستجيبلدعوتك فأنت نبيه ورسوله .

وسيتخذ العبرانيون من بيوتهم محرابا لهم وقبلة للرب ٠

يصلون فيها سرا حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ٠

ولقد طغى فرعون وضل السبيل وتكبر على الناس وتجبر فى الارض ٠

وادعى الربوبية وعبده قومه ٠

بسبب كثرة الاموال والنعيم الهائل الذى يتمتع به ٠

والخير العميم الذى يرغد فيه فلو أن الرب أمسك ٠

عنه الرزق بنقص فى الثمرات وهلاك فى الاموال ثم يقسو ٠

قلبه عن الايمان حتى يرى العذاب الذى سينزله الرب بمصر ٠

فيؤمن أخيرا ويضطر لاطلاق بنى اسرائيل .

يوكابد : لقد أريته يا بنى الآية الكبرى فكذب وعصى .

موسى : فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين .

وأن ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده .

ومن تكون له عاقبة الدار .

انه لا يفلح الظالمون .

يوكابد : ما أظن تكذيب فرعون لمعجزاتك العظمى يابنى الا مكابرة .

وتمسكا بالعرش لملكه وهل تعتقد أنه من السهل

أن يتنازل عن التآله ويعبد ربك رغم أنه كان يرجف فزعا من ثعبانك الضخم وقد كان تصرفه

حكيما ومنقذا للموقف أن توجه للسحرة فقط .

ينزل بهم أقسى العقاب لقد خاف أن يمسك

بسوء فتسلط أنت عليه ثعبانك فيؤذيه .

او تخرج له آيتك الثانية فى يدك المباركة البيضاء .

فيسطع نورها فتبهر العيون وخشى أن يتسرب نورها

للقلوب فيخر قومه كلهم ساجدين كما فعل السحرة المؤمنون .

موسى : فى هذه اللحظة قد نفذ جند فرعون أمره فى الخمسة الشهداء من أئمة السحرة الذين تحدوا فرعون وأعلنوا ايمانهم برب العالمين وها هى ملائكة السماء ترتفع بأرواحهم فوق أجنحتهم مترنمين بتراتيل الخلود وتفتح لهم أبواب السماء ليدخلوا جنات النعيم خالدين فيها بما صبروا واستشهدوا فى سبيل الحق لما تبدى نوره

في قلوبهم واعلنوا ايمانهم فى وجه فرعون صوتا مدويا فى الافاق .

شيخ من بنى اسرائيل : فليحزن جميع بنى اسرائيل على أول الشهداء المؤمنين من آل فرعون .

ولنقيم الصلاة كل يوم على أرواحهم الطاهرة ولنجعل من قبورهم قدسا لنا نحج اليها متباركين . فكان صلبهم بسببنا .

ونحن عنهم مسئولون .

يوكابد : حقا فلتبك عليهم العيون وتشق عليهم الجيوب .

وتنوح عليهم النفوس . فانا عليهم لحزنون وللجنة مشتاقون .

عندئذ انصرف القوم ينظرون ما سيأتى الغد

اجتماع بقصر فرعون :

عقب يوم الزينة يقيم فرعون مأدبة كالمعتاد فى اليوم التالى لرجال الدين يتقدمهم الكاهن الاول وكذلك الوزراء والمستشارون والحكماء وكبار رجال الدولة ووجهاء الشعب وبعد الانتهاء من تناول الطعام استراحوا بقاعة العرش ودار بينهم الحديث التالى :

كبير الكهنة : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك ؟

فرعون : كلا سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم .

وانا فوقهم قاهرون .

وليضاعف تسخيرهم ويزاد اذلالهم .

كبير الكهنة : مهما يأتينا به موسى من آية ليسحرنا بها فما نحن له بمؤمنين

فرعون : الست نا ربكم الاعلى ؟

الملأ : نعم انك الاله الاعظم ابن الاله الاكبر رع رب الارباب .

فرعون : أليس لى ملك مصر

وهذه الانهار تجرى من تحتى ·

أفلا تبصرون ·

الملأ : الارض ما عليها والسموات وما فيها .

كلها ملك يديك يا فرعون يا ابن الشمس ·

فرعون : الست أنا خير من رب موسى ·

الذى هو مهين لا يكاد يبين ؟

فلولا ألقى على موسى اسورة من ذهب ·

أو جاء معه الملائكة مقترنين ·

الملأ : وأين ربه الذى يدعيه ؟

ولـمـــاذا اذن هو يخفيه ؟

وان كان حقا فهل يؤتيه ·

لنرى وجهه أو نلمس يديه ·

هامان : ان موسى ساحر كذاب .

تجرأ على آلهتنا ذوى الانساب ·

فرعون الهنا ابن رب الارباب ·

فرعون : ذرونى أقتل موسى وليدع ربه .

انى أخاف أن يبدل دينكم ·

أو أن يظهر فى الارض الفســـاد ·

الحكيم المستشار : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟

حزقيل مؤمن آل فرعون : وقد جاءكم بالبينات من ربكم .
وان يك كاذبا فعليه كذبه .
وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم .
ان الله لا يهدى من هــو مســرف كذاب .

كبير الكهنة : ان ما جاء به موسى فهو السحر الاكيد .
تفوق به على السحرة بثعبانه الفريد .
ولكنه لم يتحد طلاسم الكهنة من جديد .
فنحن بقوة فرعون ذوو بأس شديد .

المستشار الحكيم : ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض .
فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا .

فرعون : ما اريكم الا ما أرى .
وما أهديكم الا سبيل الرشــاد .

المستشار الحكيم : يا قوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشـاد .
وما الله يريد ظلما للعباد .
وأن الله بصير بالعباد .

كبير الكهنة : كأنك تؤيد موسى وتدعو له انتصارا .
هامان : لا أنه يقول حكمة وانذارا .
وليس علينا أتباعه اجبارا .

فرعون : لكن الحكيم يدبج الاخبارا .

كبير الحراس : لقد نفذنا الاعدام فى الخمسة السحرة اللئام .
وقطعنا أيديهم وأرجلهم من خلاف لعظم الآثام
ثم صلبناهم فى جذوع النخل ورشقناهم بالسهام .
ولكنا القينا منهم ظاهرة كالسحر والاوهام .
فصار النخل كعمود من نور وارتفع الى الغمام .

وتبين أن أيديهم وأرجلهم قد عادت لهم بالتمام ·
ولكنهم أموات منذ نفذ فيهم سهم الحمام ·

فرعون : يهمنا أنهم ماتوا جزاء ما اقترفوا كالذئاب .
فالقوهم فورا للسباع وجوارح الكلاب ·

كبير الحراس : لقد حملنا جثثهم لحظيرة السباع .
فهابتها الاسد مع أنها جياع ·
ثم ألقيناها بعد ذلك للكلاب ·
فأبت أن تمسها وبكت فى الاياب .

المستشار الحكيم : أرى دفنها بعد الاستئذان .
خشية أن تأبى حرقها النيران ·

فرعون : لقد أصبتالرأى يا أبا لقمان .
وليكن دفنها فى مقابر القردان ·

المستشار الحكيم : يا فرعون ان كنت تسمع للنصح والسداد .
فان هذه الحياة الدنيا متاع ·
وأن الاخرة هى دار القرار ·
يا قوم انــى أدعوكم الى النجــاة ·
وتدعوننى الى النار .
انا أدعوكم الى العزيز الغفار ·
وان المسرفين هم أصحاب النار ·
فستذكرون ما أقول لكم ·
وأفوض أمرى الى الله ·
ان الله بصير بالعباد ·

كبير الكهنة : ان الحكيم قد صبأ وتمادى فى العناد .
فرعون : هل تشيرون بقتله حتى لايعم الفساد .

عندئذ رأى القوم ثعبان موسى الضخم يقف بجوار المستشار الحكيم ففزع القوم وقذف الله فى قلوبهم الرعب وجروا مسرعين وساد هرج فى قاعة الملك وحتى فرعون نفسه قد فزع وخرج هاربا ٠

وبذلك نجى الله مؤمن آل فرعون من بطش « رمسيس الثانى » فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ٠

وخرج الحكيم « حزقيل » من قصــر فرعون متوجها الى منزل موسى ليختبىء به وأخبر موسى بكل ما حــدث فى اجتماع فرعون ٠

وقد ظل الحكيم « حزقيل » فى بيت موسى محتميا بسلطان موسى الالهى حتى خرج معــه من مصــر نهائيا بعــد ذلك ٠

ازدياد القتل والاضطهاد :

نفذ جنود فرعون أوامره الاخيرة بقتل جميع أبناء العبرانيين الاطفال ذكورا وأناثا ثم التشديد فى أعمال السخرة على العبرانيين بمعرفة المصريين وبدون أجــر فأخذوا قســرا لصناعة الطوب وأعمال النجارة والحدادة والبناء يساقون فى جماعات كالقطيع تحت ضربات السياط من الجند يعملون بلا شفقة وبلا رحمة فى بناء القصور وزراعة الحقول وتطهير الترع والمســاقى ثم يتركون يقتاتون لانفسهم بعــد ذلك ٠

وبلغت أحوال التعذيب فى بنى اسرائل حدا يعجز عن وصفه البلغاء واشتد قتل الاطفال حتى لم يعــد هناك بيت للعبرانيين الا وفيه حزن ومناحة فجأروا بالشكوى الى موسى بعــد يأس وقنوط من وقف العذاب ٠

قال بنو اسرائيل يا موسى : أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا .

قال موسى : عسى ربكم ان يهلك عدوكم .
،ويستخلفكم فى الارض ٠
فاستعينوا بالله واصبروا .

ان الارض يورثها من يشاء من عباده ·

والعاقبة للمتقين ··

قال هارون : يا موسى ادعو الله ان ينزل بآل فرعون العذاب .

قال موسى : نعم فقد نفذ الصبر وانقطع الرجاء .

وليعلم آل فرعون من غد وقوع البلاء ·

من الجراد والقمل والضفادع والدماء ·

ثم من طوفان يغرق الارض بالمـــاء ويعم به البلاء .

وفى الصباح التالى لذلك اليوم أمطرت السماء مطرا شديدا أضر بالزرع وأتلف الحرث وأسقط زهر الاشجار ثم بعد ذلك انتشر الجراد فى مصر فأكل كل أخضر من الزراعة والاوراق وأتلف الثمار والزروع · فهرع آل فرعون ورسله يسألون موسى أن يرفع عنهم هذا البلاء من الجراد وأنهم سيؤمنون به ان خلصهم من هــذا الجراد ـ فدعا الله فرفع الجراد ولكنهم لم يؤمنوا ثم انتشرت بعــد ذلك فى مصــر كلها الضفادع والقمل فملأت جميع الطرقات والبيوت وآذت الناس والحيوان ثم لجــأ آل فرعون ثانية لموسى أن يرفع عنهم القمل والضفادع ـ وقالوا له يا موسى ادع لنا ربك بما عهــد عندك لئن كشفت عنــا الرجــز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلماكشف الله عنهم الرجــز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ·

ولما اخذت فرعون العزة بالاثم وتمادى فى النكث بما يعد موسى وقومه انذرهم موسى أنه سيصيب المصريين الدم وهو أن يسيل الرعاف من أنوفهم فأصابهم جميعا هذا البلاء فأضر بصحة آل فرعون ولم يجدوا له علاجا وهزلت أجسامهم ولم يقووا على الوقوف فهرع القوم من آل فرعون ورسله الى موسى يسألونه أن يرفع عنهم هذا الدم فقال لهم حتى تأتونى كتابا خطيا من فرعون بالموافقة على خروج بنى اسرائيل من مصر فلقد جربناكم من قبل فلم نجد عندكم عهدا ·

وفعلا وافق فرعون صاغرا على خروج العبرانيين وتسلم موسى الاذن بذلك من رسول فرعون · فدعى موسى ربه فرفع الدم عن المصريين ·

وعندئذ عم الفرح بنى اسرائيل واستعدوا جميعا لمغادرة مصر وتجمعوا كلهم بجوار موسى فى نحو عشرة آلاف نسمة رجالا ونساء وشيوخا وشبانا بمواشيهم وأبقارهم وأغنامهم وكل ما يحملون من متاع سكناهم ومأكلهم ومشربهم ·

كما أن « يوشع بن نون » استحضر تابوت جده « يوسف الصديق » عليه السلام ليحملوه معهم فى الخروج تنفيذا لوصيته ·

وكان ذلك اليوم حدا فاصلا بين الاستعباد الحرية وبين الذلوالكرامة وبين الظلام والنور وبين الليل والنهار لقد توج اله جهاد موسى بالنصر المبين واحتمل فى سبيل ذلك أصعب المشاق وأقساها وتعرض لأحرج المواقف وأشقاها ـ وجابه وحده أشد التهديدات وأعلاها ·

ولولا أنه نبى مرسل مؤيد منقبل الله بالايات البينات والمعجزات الخارقة ما استطاع ان يقف لحظة واحدة امام فرعون وجبروته ولكان مصيره السجن والتشريد أو الصلب والتقتيل . ولكن الله كان معه منذ طفولته يحرسه بعنايته ليؤدى رسالته التى خصه الله بها كباقى الانبياء المرسلين · ولقد كان فضل الله على موسى كبيرا اذ قيض له زوجة فرعون أما وسندا له وحصنا منيعا له منعائلة فرعون حتىفى آخر هذه اللحظات فهى التى هونتعلى فرعون خروج بنى اسرائيل وقالت له أنهم فئة قليلة مستضعفة لا يحسب لها حساب فى ملكه الواسع وسواء أقاموا بمصر أو بأرض فلسطين فهى كلها فى حوذته أو لم تكن أرض فلسطين والشام خاضعة لفرعون وضمن الامبراطورية المصرية وتدفع له الجزية وأن تعدادهم لا يتجاوز أهل قرية أو قريتين من آلاف القرى والمدن المصرية فى الوادى ·

ولقد كان لهذا الكلام اللين الهادى منالملكة « است نفرت » الى فرعون الاثر الاكبر فى أن يسمح بخروج بنى اسرائيل من مصر ·

ولقد أوحى الله الى موسى أنأسر بعبادى ليلا فأمر قومه من بنى اسرائيل أن يستعدوا جميعا للرحيل فى منتصف الليل وفعلا تجهزوا بكل مستلزماتهم

وحملوا معهم معاشهم على دوابهم من الخيل والبغال والحمير وساقوا معهم مواشيهم من اغنام وابقار وركب الشيوخ من الرجال والنساء والاطفال وكان عدد الماشين أو المترجلين فيما بين سن العشرين والخمسين حوالى ستة آلاف نسمة من مجموعهم البالغ عشرة آلاف تقريبا حسب ما جاء فى كتاب المرحوم سليم حسن فى كتابه « مصر القديمة » الجزء السابع فى صفحة — ١٣٢ — حسب تحقيق المؤرخ السير فلندرزتبرى وهو يترجم كلمة ألف بمعنى أسرة وبذلك يصبح عددهم ٥٥٥٠ نسمة من الرجال دون الاطفال والشيوخ بدلا من ستمائة ألف كما تقول التوراة .

وتقدم هارون هذه القافلة الكبيرة وبدأت تسير — على بركة الله — فى جنح الليل ومشى فى المؤخرة موسى يحمل عصاه وهو موجهها الى المقدمة تنير لهم الطريق وتهديهم سبيل الخروج . وكانت هذه احدى ساعات الزمن التى يتغير فيها وجه التاريخ بعد ان قضى بنو اسرائيل بمصر اربعة قرون كاملة غادروها فرارا بدينهم ليعبدوا ربهم فى البريه بأرض فلسطين ورغم ما لا قوه من عنت وشقاء وذل واستعباد فانهم قبلوا الارض الطيبة مودعين فكم تركوا فيها من جنات وعيون وزورع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . ولم يتركوا وراءهم الا قلبا واحدا مؤمنا كانت تسير صاحبته مع القافلة بالروح وان كان جسمها فى مخدع الملكة .

الفصل الرابع

خروج بنى اسرائيل من مصر الى سيناء

سار موسى وقومه من مدينة « بر رعمسيس » بالقرب من بلبيس الان باقليم الشرقية الى جهة الشرق فى الطريق المؤدى الى البحيرة المرة اى الاسماعيلية حاليا ثم توجه جنوبا الى طريق قرية القزم « السويس حاليا » حتى وصلها بعد اربعة ايام وهو نفس الطريق الذى سبق ان سلكه عند عودته من مدين الى مصر عن طريق جبل الطور الى السويس ثم الى الاسماعيلية ثم الى بلبيس ولقد كان مضطرا الى سلوك هذا الطريق وذلك ليصل الى الجبل المقدس جبل المناجاة بالطور ليكلم موسى ربه عليه مرة أخرى ويتلقى التوراة وذلك عن موعدة وعده بها ربه عندما كلمه من قبل وبلغه الرسالة والنبوة والتكليف السابق باخراج بنى اسرائيل من مصر ·

وهذا هوالسبب الذىجعل موسى عند الخروج لم يسلك طريق القنطرة الى رفح الى فلسطين مع انه اقرب طريق الى فلسطين ·

وبعد مضى يومين من بدء رحيل بنى اسرائيل علم فرعون بما فعلوه مع المصريين من استعارة حليهم وزينتهم من ذهب وفضة واخذوها معهم دون ان يردوها للمصريين كما تنبه كبار المصريين والمسئولين فى الحكم الى الفراغ الذى تركه العبرانيون فى اعمال السخرة والخدمة عند فرعون والمصريين واشتكوا الى فرعون بأن ذلك قد ادى الى خلل فى نظام العمل وخاصة انهم كانوا عبيدا لا يستنكفون عن الاعمال الدنيئة وهى التى يتعفف عنها المصريون بعدئذ وحتى لو فعلوها سيتقاضون عليها اجورا عالية وحالة البلاد المالية قد انهكتها كثرة المعابد والتماثيل الضخمة والقصور الكثيرة ·

فقرر فرعون ان يعيدهم ثانية الى اعمالهم بالقوة كما سبق ان نكث معهم العهود من قبل فأرسل فى المدائن حاشرين أن هؤلاء لشرذمة قليلون وأنهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون وأنهم عبيد آبقون ولصوص مارقون فجمع فرعون بعضا من جنوده وسار بهم فى نحو ستمائة مركبة حربية تتقدمهم عجلة رمسيس المذهبة يجرها جواد مطهم اسود عات بلبب من الذهب الخالص فاتبعوهم مشرقين حيث تراءى الجمعان فقال اصحاب موسى انا لمدركون فقال لهم موسى كلا ان معى ربى سيهدين وامر موسى قومه الا يسيروا شرقا فى الـ طريق الضيق الذى عرضه متر بين السياحات عند السويس الى سيناء لعدم الاتساع منجهة ولامر يريده الله من جهة اخرى فأمرهم ان يستمروا فى السير جنوب السويس على الساحل الغربى لخليج السويس وظلوا يسيرون فى محاذاة البحر وكانت جبال المقطم على يمينهم وبحر القلزم « البحر الاحمر » على شمالهم وفرعون خلفهم ولما رأى فرعون انهم يسيرون فى ذلك الطريق امر بأن يعسكر جيشه فى قرية القلزم « السويس » للراحة لانه سيدركهم لا محالة فليس هناك مفر من اللحاق بهم فهم يسيرون بين حاجزين من الجبال والبحر ولا قبل لهم بأن يعبروا بأحدهما حتى اذا وصلوا جنوب السويس بنحو عشرة كيلو مترات فى ذلك الطريق الوعر الجبلى كان التعب قد اخذ من قوم موسى كل مأخذ بجانب ذعرهم وفزعهم من فرعون ان يلحق بهم وهو آت اثرهم لا ريب فى ذلك فقد رأوه عند السويس يجد فى السير خلفهم وعندئذ تحدث « يوشع بن نون » الى موسى وقال له يا كليم الله ليس لهذا الطريق من آخر وانا لمدركون من فرعون لا محالة وسيكون الموت مصيرنا اما يغرقنا فى البحر فنصبح طعاما للاسماك او يقتلنا جنوده ويلقى بجثثنا على هذه الجبال فنصبح طعاما للحدأ والغربان ٠

فقال له موسى هدىء من نفسك يا بنى ان الله لا يخلف وعده وقد امرت بالبحر ولعلى اتلقى امره الان وعندئذ اوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وارسل الله ريحا عاتية على البحر فجففت قاعه واصبح يابسا صالحا للمرور فيه وعبر موسى

وقومه الطريق فى قاع البحر من الشاطىء الغربى الى الشاطىء الشرقى لخليج السويس لا يخاف دركا ولا يخشى اى لن يدركهم فرعون ولا يخافون بعد ذلك · وقد كان فلق البحر بحق المعجزة الثالثة بعد العصا واليد ·

وقد استمر فرعون يسير فى نفس الاتجاه جنوب السويس وهو طبعا مطمئن لانه سيدرك موسى وقومه ولا مفر من ذلك . فلما وصل الى مكان عبورهم وجد البحر منفلقا والقاع طريقا يابسا وابصر بمؤخرة بنى اسرائيل يسيرون فى الطريق قرب الشاطىء الشرقى للبحر واراد موسى عقب وصوله وقومه سالمين الى بر سينا ان يرجع البحر كما كان بعصاه ليحول بينه وبينفرعون ولكن اللهاوحى اليه « ان اترك البحر رهوا اى ساكنا منفلقا على حاله فانهم جند مغرقون » .

فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فى ذلك الطريق بقاع البحر الذى يبلغ اثنى عشر كيلو مترا ليلحق بموسى وقومه على شاطىء سينا ولما توسطوا عرض البحر انطبق شقا الماء عليهم وغرق فرعون وجنوده أجمعون وأصبح عبرة للعالمين ولقد سمع لانطباق البحر صوت عال يدوى فى الآفاق لتفريغ الهواء من طبقات الجو فحدثت قعقعة هائلة كزلزلة الساعة فوضعت كل ذات حمل حملها وذعرت الوحوش فى الجبال وفزعت الطيور فى السماء وتشققت المعابد وتصدعت العمدان وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون · ولقد تبلور هذا الصوت الصادر منانطباق البحر فى آذان بنى اسرائيل الى كلمة طيبة استقرت فى سمعهم واستيقنتها انفسهم فنطقت بها السنتهم « الله اكبر ·· الله اكبر ·· الله اكبر لا اله الا ربنا الرحمن كسرت شوكة الشرك والطغيان . لنعبد الله الواحد الديان » .

عندما كان يغرق فرعون قال « **آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين** » تلك ساعة العسرة حيث لا ينفع نفسا ايمانها كما انه ظن ان هذاينجيه من الغرق ويخدع به موسى وربه كما سبق ان تعود فى نكث العهود ·

فأسـمعه الله وهو فى هذه الحالة صـوتا من قبله يقول « **يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسـا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسـبت فى ايمانها خيرا ـ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ـ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وأن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون** » .

لقد سبق القول من الله وكان فرعون من المغرقين وطفت جثته على سطح الماء داخل مركبته الملكية المذهبة بعد ان انفصـل عنها حصـانها وهو يعالج سـكرات الموت وألقت الامواج بجثة فرعون وجثث بعض الجنود عـلى الشـاطىء الغربى لخليج السـويس فى الاراضى المصـرية عنـد مكان العبـور .

وتعرف المصـريون على جثة فرعون بلبسـه المميز من درع مصـفح بالذهب وتاج الملك وشـاع النبأ فى طول البلاد وعرضـها وسـرعان ما نادى المصـريون بابنه « مرنبتاح » ولى العهد ملكا عليهم وقد كان يقود الجيوش المصـرية على الحدود المصـرية الغربية لمحاربة الليبيين وانتصر عليهم . واقيمت الاحتفالات الدينية بدفنجثمان فرعون مصـر « رمسـيس الثانى » بعد ان حنطـوا رفاته فى مقبرته بوادى الملوك بطيبة عـاصـمة مصـر الاولى « الاقصـر » .

نجا موسـى وقومه من فرعون وطغيانه بل وغرق ايضا فرعون بسـبب بنى اسـرائيل فتلك آية للناس لتبين قدرة الله العلى الكبير ان يقف موسـى فى وجه الطاغية فرعون وهو أعزل لا حول له ولا قوة ويواجه قوى الظلم عدة وعددا مجتمعة فى شـخص ملك جبار ظالم يملك مقادير امبراطورية مترامية الاطراف ويملك فيما يملك فئة من شعبه عبيدا محتقرين هم بنو اسرائيل لا يؤبه لوجودهم فرادى او مجتمعين ولذلك رغم كثرة عدد هؤلاء القوم من العبـرانيين فكانوا معتبرين اجانب مسـتضعفين لا تذكر اسـماؤهم فى السـجلات الرسـمية ولا تنقش سـيرتهم على جدران المعابد ولذلك كان خروجهم من مصـر يعتبر موضوعا ثانويا بالنسـبة للمصريين فلم يعيروه

اهتماما ولا يستحق منهم اى التفاتة لينقش او يسجل تاريخيا على الجدران ولذلك خلت كل الاثار المصرية من ذكر شيء عنهم الا جملة واحدة جاءت فى اثر للفرعون « مرنبتاح » (١) • انه قضى على بذرة العبرانيين • ويحتمل ان يكون لقاؤه بهم فى طريقه الى فلسطين فقابلهم فى سينا أو قبيل فلسطين فأدبتهم بعض جنود فرعون لانهم قوم لا يعرفون للحروب فنونا •

آيات موسى فى سينا :

فرح بنو اسرائيل بنصر الله لهم على فرعون فأقاموا الصلاة لله شكرا واخذوا يرتلون الاغانى ويرقصون طول الليل ابتهاجا بنجاتهم من فرعون ونوالهم حريتهم كباقى خلق الله وعسكروا فى سينا قرب مكان العبور •

تفجير الماء من الصخر :

مضى يوم وبعض يوم فى مكانهم ونفذ منهم الماء فعندئذ أفاقوا لأنفسهم وفكروا ان سيناء صحراء وليس فيها من آبار للماء وان وجدت فهى لا تكفى هذه الالاف من القوم بخلاف حيواناتهم التى معهم •

فتوجهوا الى موسى يستسقونه الماء ويطلبون منه العون فى ان يدبر لهم امره لان الماء عماد حياتهم فى الصحراء • فأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم على حسب عدد الاسباط لكل واحد منهم عينا وهذه العيون موجودة للان جنوب السويس بحوالى عشرة كيلو مترات على ساحل خليج السويس وتعرف « بعيون موسى » وقد طمس بعضها ولا زال فى بعضها الماء للان للشرب وزراعة الاشجار حولها •

ولقد تكرر بعد ذلك تفجير المياه بعصا موسى كلما تنقلوا فى سيناء لان العيون المتناثرة بها لا تكفى لسقى بنى اسرائيل ومواشيهم ولقد كان تفجير المياه من الصخر بالعصا يعتبر بحق المعجزة الرابعة الكبرى لسيدنا

---

(١) اختلف المؤرخون فى فرعون موسى : هل هو رمسيس الثانى أو هو ابنه منفتاح والقرآن الكريم ذكر فرعون ولم يعينه ولم يذكر اسمه .

موســى بعد العصــا وبياض اليد وفلق البحر · وهذه بحق معجزات فوق ادراك العقل لا يهضــمها ولا يصــدقها وينكرها على طول الخط اذا نظر اليها منخلال المنظارالعلمــى · ولكنه اذا وضــع على فوهة منظاره غلالة رقيقة من الايمان بقدرة الله المطلقة صــدق وآمن ·

ظلــة الغمامــه

ولقد شجعت هذه الآية الكبرى بنو اسرائيل أن يسألوا موسى فيمــا يعن لهم صغيرا كان أو كبيرا ممكنا أو غير ممكن . فتقدم اليه نفر وقالوا له يا نبى الله كنا بمصر نعمل ونشقى فعلا داخل المنازل والمصانع تظللنا الاســقف فى المدن والقرى والاشــجار فى الطرقات والمزارع ولكنا هنا فى الصــحراء نتعرض لحرارة الشمس المحرقة وليس لنا بها طاقة · فانظر ماذا ترى ·

فأوحى الله الى موســى ان قد ســخر لهم الغمام يظللهم جميعا اينما يكونون وطول اقامتهم بصــحراء ســينا · وذلك من فضل الله عليهم ولو ان اكثرهم كانوا ظالمين ·

المــن والســلوى :

بعــد بضعة أيام نفذ الزاد من بعض العبرانيين فتوجهــوا الى موسى يسألونه ان يدبر لهم امر طعامهم لانه ســيكون عاما لهم · فقال لهم موســى قد اوحى الى ان الله نزل عليكم المن والســلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيحل عليكم غضــبى ومن يحلل عليه غضــبى فقد هوى ·· فســجدوا شــاكرين لله هذه النعمة التى انعم بها عليهم وتعهدوا الا يدخروا منطعامهم هذا من المن والســلوى الى اليوم التالى لانه سيتلف طالما ان الله وعدهم انه ســيكفل لهم هذا الرزق صبيحة كل يوم بدرجة تكفيهم جميعا ·

وفى صبيحة كل يوم كانوا يجدون الارض مفترشة « بالمن والسلوى » يأخذ كل واحد منه ما يكفيه وأسرته فى اليوم فقط لانه اذا ادخر جزءا منه

لليوم التالى يتلف ولا يصلح للاكل ولو ان بعضـــهم كان يخالف ذلك احيانا (١) ٠

ولم يكتف بنو اســـرائيل بذلك بل توجهوا الى موســـى يوما وقالوا له « لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » فقال لهم موسى « اتســـتبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ٠ اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم » ويقصد بذلك أى قطر من الاقطـــار ٠

ولقد كانت هذه الاجابة من موسى استهزاء بأفكارهم وردا على هـــذا التدليل المبتذل ســـخفا واســـفافا منهم ٠

اجتمـــاع الشــكر :

أجتمع شـــيوخ بنى اســـرائيل مع موســـى ليتذاكروا نعم الله عليهم وما اسبغه عليهم من فضل ورزق كثير فى سينا فشكروا الله على ما اتاهم من نعيم وحباهم من خيرات ٠

فقال القوم ياموسى لم يبق لنا الا رجاء اخير منك ٠

فقال موسى : وما ذاك ؟

فقال القوم : يا موسى لقد وعدتنا أن الرب سيأتيك بكتاب بعد أن نخرج من مصـــر فيه شـــريعة وتعاليم عن الدين والدنيا فهل ســـيكون ذلك قريبا ٠٠ ؟

فقال موسى يا قوم لقد وعدنى الله ذلك حقا فتهيئوا للرحيل الى حيث تنزلون بسفح جبل الطور وأصعد أنا على جبل المناجاة لأتلقى من ربى الوصـــايا والتوراة ٠

---

(١) وقد كان المن عبارة عن شبه ورق الشجر عليه طبقة محلاة عسلية ، والسلوى طائر صغير يشبه السمان .

يوشع بن نون : وهل يبعد جبل الطور عنا بكثير ؟

موسى : مسيرة شـــهر فى بطء وتؤده ونصف على الراحلة المجدة .

يوشع : لولا كثرة الرهط لأزلفنا اليه مسرعين .

صفورة : لقد قطعنا هذه الرحلة عند حضورنا الى مصر فى أيام معدودات .

لم نحس فيها بتعب ولم تذق عيوننا لذة النوم .

بل كنا نشـــعر بأن الارض تطوى تحت اقدامنا طيا .

وكان يدفعنا الشوق الى مصر دفعا لنخلص قومنا المؤمنين .

من ظلم فرعون .

قالت يوكابد : ان المجاهدين فى سبيل الله لا يصيبهم نصب ولا مخمصة

يد الله فوق ايديهم .

تحيط بهم الملائكة فى غدوهم ورواحهم .

هم فى نور الله يعيشون

وعلى الله يتوكلون

تفنى ارادتهم فى ارادته .

فهو الرامى اذا رموا .

والمتكلم اذا تكلموا .

والسـامع اذا سـمعوا .

والرحمن اذا رحموا .

هارون : ليس هناك فى الوجود اعلى من مرتبة الجهاد .

فيها يكون العمل احتســابا لوجه الله .

ولا يبغى عليه من احد اجرا الا الله .

مريم : أخى موسى هل تستطيع أن تفسر لى رؤيا رأيتها بالأمس ؟

موسى : وما تلك ياأختاه .

مريم : رأيتك ترعى قطيعا من الاغنـــام خليط الألوان بين أبيض وأحمر
واســود ولكن كان اكثرهم ملونين ثم رأيتها وقد حملت الاناث منها
فولدت لك أفراخ كثيرة ولكن أكثرهم سود مهازيل .
ثم رأيتك يا أخى تسير بمفردك ولم تتبعك الاغنام فقد كانت
مشغولة بارضاع مواليدها ثم رأيتك تصعد مرتفعا ثم غبت عنى
طائرا الى أعلى فى السماء .

موسى : يا أخت هارون ما كان أخوك الا بشرا رسولا
لا يستطيع أن يغير ما قدره الله على اسرائيل .
فان رؤياك تفســر نفســها بنفســها رمزا وتأويلا .
فانتم القوم ما ســقناه من غنم ، وتلك الوانهم درجات ايمان .
وان كنت معتزلا اياهم كرها ، فلابد من ســبب او قول بهتان .

السـفر الى جبل الطـور :

وانصرف القوم ليســتعدوا للرحيــل من غــد ويحزموا أمتعتهــم على دوابهم . وفى فجر اليوم كانت القافلة الكبيرة تسير من مكان « عيون موسى » جنوبا على الســاحل الشرقى لخليج السويس تظللها ســحابة طوال النهار ويحطون رحالهم للراحة فى مواقع كثيرة فهم ليســوا متبوعين بأحد يزعجهم او يقلق ســفرهم بل كان الشــوق يقودهم لكتاب الله الذى وعدوه .

قوم الاصنام .

واذا هم يسيرون أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم .
فقال القوم : ياموسى اجعل لنــا الها كما لهم آلهة
قال موسى : انكم قوم تجهلون
ان هؤلاء متبرما هم فيه .
وباطل ما كانوا يعملون .

أغير الله أبغيكم الها ٠
وهو فضلكم على العالمين ٠

لقد تأثر موسى اشد التأثر من قول قومه له هذا فلم يكن هذا الحادث غريبا صدوره من بنى اسرائيل لقرب عهدهم بالوثنية المصرية فهم لم يتركوها الا منذ أيام وقد عاشوا فيها عمرهم كله بين الاصنام والتماثيل وعبادة عجل أبيس والالهة حور ورع «قرص الشمس» وغيرها من تلك الالهة المتعددة التى زينها لهم الكهنة وفرضوها عليهم كما ادعى الفراعنة الربوبية فعبدهم المصريون سواء عن خوف أو اعتقاد وبهذا كان أغلب الاسرائيليين غير مؤمنين وقلدوا المصريين فى كثير من الاراء لاستعبادهم وتعودهم ممارسة العبادات عند المصريين فتأصلت فى قلوب بعض بنى اسرائيل الوثنية قهرا أو اختيارا ٠

ولذلك فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئه أن يفتنهم ٠

فرغم تلك المعجزات الكبرى التى أظهرها الله على يد موسى أمام أعين بنى اسرائيل فانها لم تقلع جذور الشرك من قلوب بعضهم فما زالت معتقدات المصريين رواسب فى نفوسهم الا فئة قليلة ولكن كان كسبا للحرية ونفورا من الاستعباد وتغييرا للحال الذى هم فيه ولم يكن أكثرهم عن دين ويقين ولكن فى زمرة الخارجين خرجوا ٠

وهذا ما حدا بموسى لمـــا طلبوا منه أن جعل لهم الها صنما أن يوبخهم ويسفه رأيهم ويصفهم بالجهل والسخف ويذم لهم تلك الاصنام ويحقرها لهم بأنها باطلة ومزيفة ولا تغنى من الله شيئا ولهذا عاتبهم موسى بشدة وأسى ٠

وقال لهم : أغير الله تريدون الها .
وهو ربكم ورب أبائكم الاولين ٠

الوادى المقدس :

استمر بنو اسرائيل فى السير فى طريقهم جنوبا تحوطهم عناية الله ورحمته اكراما لنبيه ورسوله موسى عليه السلام · وبعد شهر تقريبا قضوه فى وعثاء السفر حفيت منه أقدامهم وتمزقت به نعالهم ما بين مترجل منهم وممتط . وصلوا الى الوادى المقدس طوى وحط القوم رحالهم . وعسكروا فى سفح جبل الطور ·

واستخلف موسى على بنى اسرائيل أخاه هارون وقال له اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلقد واعدنى ربى ثلاثين ليلة أقضيها على الجبل أتلقى فيها التوراة والكتاب المقدس .

صعود الجبل :

وأجتمع بنو اسرائيل جميعا ليودعوا موسى ومن اختارهم معه من النجباء وهم سبعون مؤمنا من شيوخ الاسباط وبدأوا الصعود الى أعلى الجبل .

وحدث فى اثناء لحظة الوداع أن حضر ملاك الرب « جبريل » ليصحب موسى الى الشجرة المقدسة ويرافقه فى مهمته العظمى وابتهج موسى برؤية جبريل وصحبه عدوا مستبقا أولئك النجباء .

تراب سر الحيـــاة :

رأى « موسى السامرى » ملاك الرب فى ذلك الوقت لانه يتميز بهذه الخاصية وهو رؤية الملائكة كما لاحظ ايضا « السامرى » انموقعاقدامملاكالربعلى الارض ينبت بالخضرةفاخذمن ترابمواقعاقدام الملاكحفنةواحتفظبهالنفسهفى قارورة عساه يجد فيها نفعا بعد ذلك ·

وتعجل موسى شوقا الى ربه وأسرع مع جبريل ولم يلحقه قومهالسبعون فتخلفوا عنه قليلا ولكن على أثره · ولما وجدوا موسى قد وصل الى المكان المقدس من البقعة المباركة من الشجرة وقد غمره النور الالهى توقفوا عن التقدم فليس ذلك مقامهم ···

أربعين ليلة :

بقى موسى على قمة الجبل فى ذلك المكان الرهيب المقدس حسب ميقات ربه له « **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة** ! ولقد كان موسى فى هذه المدة الطويلة من الايام صائما لايأكل ولايشرب وهى مواقف لاتنطبق عليها النظم البشرية ولاتقاس بمقياس الناموس الطبيعى ولكنها احوال ربانية يصدق بها ولاتناقش . . يسلم بها ولاتجادل . . يؤمن بها ولا تعارض .

الحضرة القدسية :

فى وسط هذه الانوار الالهية . وفى حضرة ذات الجلال والاكرام لا يكون البشر الا ساجدا تائها فى ملكوت التسبيح بكل أنواعه حمدا وثناء وشكرا وامتنانا تنطق به جميع أجزاء جسمه حتى ملابسه التى يرتديها تقدس لله شكرا لتشريفها المبارك . .

وكلم الله موسى تكليما وهو موقف ذو رهبة وقداسة وجلال لم ولن يحدث مثله مشهدا بهذه الصورة على الارض منذ الخليقة حتى قيام الساعة . سوى ما حدث لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء مع ربه عز وجل وكان ذلك فى السماء . .

التوراة :

وتلقى موسى من ربه حينئذ التوراة فيها هدى ونور لبنى اسرائيل وكتب له فى الالواح بقلم القدرة تبيانا للناس لعلهم يتقون .

عندئذ شاء الله أن تتحرك فى نفس موسى رغبة جامحة لمشاهدة ربه واشتعلت فى قلبه نار الشوق لرؤيته بعينى رأسه ليكون ذلك حدثا جللا ومثلا واقعيا لمن تحدثه نفسه بذلك فى الاجيال المتعاقبة وعلى مدى الدهور .

فقال الله : لن ترانى . . .
ولكن انظر الى الجبل ·
فان استقر مكانه
فسوف ترانى ·
(**فلما** تجلى ربه للجبل ·· جعله دكا ·· وخر موسى صعقا ··
فلما أفاق ··)

قال موسى : **سبحانك .. تبت اليك .. !**
وأنا أول المؤمنين ·· !

قال الله : ياموسى انى اصطفيتك على الناس ..
برسالاتى وبكلامى ..
فخذ ما آتيتك .
وكن من الشاكرين ·
وكتبنا له فى الألواح
من كل شىء موعظة ·
وتفصيلا لكل شىء ·
فخذها بقوة ·
وأمر قومك يأخذوا بأحسنها .
سأريكم دار الفاسقين ·
سأصرف عن آياتى
الذين يتكبرون فى الارض
بغير الحق ·
وأن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ·
وان يروا سبيل الرشد .
لا يتخذوه سبيلا ·
وأن يروا سبيل الغى
يتخذوه سبيلا ·

ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ٠

وكانوا عنها غافلين ٠

والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة ٠

حبطت أعمالهم ٠

هل يجزون الا ما كانوا يعملون ٠

قال موسى : صدق الله العظيم .

قال الله : ما أعجلك عن قومك يا موسى .

قال موسى : هم أولاء على اثرى .

وعجلت اليك رب

لترضى ٠٠٠

قال الله : انا فتنا قومك من بعدك .

وأضلهم السامرى ٠

عندئذ تأثر موسى وخجل امام ربه ان يضل قومه بعد كل المعجزات الكبيرة التى ايده بها وكذلك النعم الكثيرة التى منحها الله لقومه فاستأذن ربه ان يعود اليهم فأذن له ربه فحمل الالواح ورجع موسى الى قومه غضبان آسفا ونزل من فوق الجبل مسرعا اليهم ٠٠٠٠

« موسى السامرى »

كان موسى السامرى قد وضع حفنة التراب من أثر قدم ملاك الرب فى قارورة ووضعها على منضدة وصادف أنه كان قد ادخر واحدة من « السلوى » وكان يضعها بجوار القارورة فاستيقظ السامرى من النوم فى الليل على رفرفة الطائر وهو يعالج سكرات الموت وقد مس بجناحيه القارورة فانسكب جزء من التراب الذى بداخلها على الطائر فدبت فيه الحياة وصار سليما قويا ٠

فلفت هذا نظر السامرى وهكذا يجعل الله لكل شىء سببا ـ ففكر فى الحال

ان يجرى على التراب تجربة اخرى فصنع تمثالا صغيرا من الطين على هيئة عصفور وسكب عليه بعضا من التراب فصار عصفورا حيا وطار فى الجو ٠

فتأكد السامرى أن هذا التراب مقدس وبه سر الحياة وقرر فى نفسه أن يحتفظ به ويستغله عند اللزوم ٠

ولما قضى موسى النبى على الجبل ثلاثين ليلة ليكلم الرب ويتلقى منه الكتاب الذى وعده به ٠ ومرت بضعة أيام أخرى ولم يرجع الى قومه وسوس الشيطان الى السامرى أن ينتهز هذه الفرصة وينتقم لنفسه من موسى لانه منعه من الزواج من خطيبته « ملكة » ويشيع فى بنى اسرائيل أن موسى قد ضل الطريق ولن يعود اليهم وأنه سيصنع لهم الها يعبدونه من حلى الذهب التى سبق أن استعاروها من المصريات امسك السامرى بنفير ليجمع حوله الرجال والنساء ٠

فقال السامرى : يا قوم آتونى بحليكم الذهب ٠

لاصنع لكم منها عجلا جسدا ٠

تحل فيه روح الرب ٠

فقد نسيها موسى بينكم ٠

وأنه قد ضل موسى الطريق ٠

ولن يعود ٠٠٠٠

وقضى الاجل الذى وعدكم به ٠

وهو ثلاثون ليلة ٠

ولكنه لم يعد ٠

فصدقونى ولا تكذبون ٠

والبينة على من أدعى ٠

فقال هارون : لا تصدقوا هذه الاقوال ٠

فانها فتنة تصيبكم ٠

فقال السامرى : انى رجل صائغ كما تعلمون ٠

أحذق الفن وأتقنه ٠

وسأجعل الصناعة أمامكم ·
وأضيف اليه ما عندى من الذهب ·
وسأصنع لكم جسم الرب ·
لتسكنه روح الاله بينكم ·
ويبقى بينكم جسدا حيا ·
له خوار ... تنظرونه بأعينكم وتلمسونه بأيديكم
وتخرون له ساجدين .

فأضل قومه وتبعه الاكثرون فجاءوا اليه بالذهب والقاه فى آنيه وأوقد عليه ليصيغه على هيئة عجل صغير ، على مشهد من الناظرين ثم سكب فى فمه من تراب قارورته فدبت الحياة فى تمثال العجل الذهب وتحول الى لحم ودم له خوار ويتحرك برأسه زائغ البصر كأن به مسا من الشيطان ·

فقال السامرى : هذا الهكم واله موسى .
نسيه هنا ·
ولن يجده على الجبل ·
وقد ضل موسى الطريق
فلن يعود اليكم ·
وهذا الهكم ماثل أمامكم ·
فقفوا له ساجدين ·

القوم : فسجد القوم كلهم الذين اتبعوه .

قال هارون : يا قوم ان هذا الذى رأيتم ·
ضلال وسحر فلا تصدقوه ·

القـــوم : اتتسموا فريقين : بين مصدق ومكذب أى بين مؤمن وكافر ·
وكان الذين اتبعوه هم الاكثرون ·
وكانوا هم ضعاف العقيدة ·

السامرى : كما رأيتم وصدقتم ولمستم

فهذا هو الهكم المقدس .

وقد جعلنى رسولا له بينكم .

لأترجم لكم خواره .

وما يأمركم به من تعاليم وشريعة .

فما أتيكم به فخذوه .

وما أنهاكم عنه فاجتنبوه .

وأطيعونى ولا تعصونى

حتى تحل عليكم النعمة .

فلن يصيبكم مكروه أبدا .

وان هذا اليوم عيد لكم .

تحتفلون به كل عام .

هو مولد الاله رب اسرائيل .

وأول التقويم السامرى .

فافرحوا وارقصوا هذه الليلة .

الى مطلع الفجر .

لان الرب بينكم على الارض .

فرح بنزوله معكم عليها .

وها هو يخور .

فتنزل عليكم البركات .

وهو لم يظهر لموسى من قبل .

ولكنه ظهر بينكم على يدى .

وأنا المترجم بينكم وبينه عما يطلبه .

كما انى رسوله اليكم أبلغكم ما يريده .

وهو الان يأمر أن تقف بجوارى « ملكة » .

« فبسرعة أحضرها القوم وأوقفوها بجواره عنوة فأمسك بيدها وقال : »

ان الرب الماثل أمامكم رب الاكوان .
خلق الدنيا والاخرة ·
قدس الاقداس ·
تخرله الانس والجان عابدين ·
يأمرنى بأن أتزوج « ملكه » .
لأرزق منها ببركة الاله .
البنين والبنات ·
لأكون رسولا تقيا اليكم .
من قبل هذا الرب المعبود ·
فاسجدوا معى شكرا للرب ·
« فسجدوا جميعا الا « ملكة » فقالت له ، »
لا يا سامرى حتى يشهد على ذلك ·
أخى « يوشع » وكبيرنا « هارون » ·
فأسرع هارون ويوشع الى النوم حول السامرى لما سمعوا بما قال عن ملكه فأمسك يوشع بيد « ملكة » وخلصها من السامرى » ·

وقال يوشع : لن تتزوج ملكة يا سامرى ·
لانها خطيبتى بأمر النبى موسى ·
ولن تمسها لانه رجس من عمل الشيطان ·
وسحرت قومك بسحرك الشائن ·
فهل الرب يصبح عجلا ·
فهل هذه عقيدة التوحيد التى ورثناها ·
عن آبائنا يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم ·
هل الاله ينزل على الارض ·
ولن يترك السماء يحفظها ·
انك ساحر أضللت القوم ·
خسئت ولك العذاب العظيم ·

وقال هارون : يا قوم انما فتنتم به .
وأن ربكم الرحمن فاتبعونى .
واطيعوا أمرى .
قال القوم : لن نبرح عليه عاكفين .
حتى يرجع الينا موسى .

بينما القوم فى هذا الهرج والجدال والنقاش الطويل بين الفئة المؤمنة القليلة والكثرة الضالة من بنى اسرائيل اذا بموسى النبى ينحدر من فوق الجبل تحيط به هالة من النور تشع من جسده كله فشاهده القوم من بعد كتلة مضيئة تنزل من أعلى الجبل . فهلل المؤمنون من بنى اسرائيل بالحمد والشكر ان جاءهم موسى فى الوقت المناسب ووجدوا موسى النبى يهرول اليهم يحمل على كتفيه الالواح ولما وصل موسى اليهم القى الالواح على الارض وخاطبهم غضبان آسفا .

موسى : يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ...؟
أفطال عليكم العهد .. ؟
أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم .
فأخلفتم موعدى .

قال القوم : ما اخلفنا موعدك بملكنا .
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم .
فقذفناها فكذلك ألقى السامرى .
فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار .
فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى .

موسى : أخذ برأس أخيه هارون يجره اليه .
ماذا جرى ؟

قال هارون : يا ابن أم ، لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى .
ان القوم استضعفونى .

وكادوا يقتلوننى ·
فلا تشمت بى الاعداء

قال موسى : ما منعك اذ رأيتهم ضلوا .
ألا تتبعنى ·· أفعصيت أمرى ···؟

قال هارون : انى خشيت ان تقول .
فرقت بين بنى اسرائيل ·
ولم ترقب قولى ·
وقلت لهم ·
يا قوم انما فتنتم به ·
وأن ربكم الرحمن فاتبعونى ·
وأطيعوا أمرى ·
قالوا لن نبرح عليه عاكفين . حتى يرجع الينا موسى .
قال موسى : فما خطبك « يا سامرى » .

قال السامرى : بصرت بما لم يبصروا به .
فقبضت قبضة من اثر الرسول .
الذى كان يصعد بجوارك على الجبل ·
لان موقع قدمه كان ينبت بالخضرة ·
فأخذت حفنة من التراب المقدس ·
الذى سرت فيه روح الحياة من أثره ·
فنبذتها وألقيتها فى فم عجل من ذهب ·
فصار عجلا جسدا حيا له خوار ·

قال موسى : وما حملك على ذلك .

قال السامرى : كذلك سولت لى نفسى .
والنفس امارة بالسوء ·
وزينه لى أيضا ابليس ·

فاغفر لى وارحمنى •
فأنا اليوم من العاصين •

قال موسى : يا قوم هل طمس على عقولكم •
وزاغت بصائركم •
وضلت أفئدتكم •
حتى تعبدوا عجلا جسدا •
أفلا ترون •
أنه لا يرجع اليكم قولا
ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا •

ثم قال موسى للسامرى : اذهب فان لك فى الحياة •
أن تقول « لا مساس » •
وآن لك موعدا لن تخلفه •
وانظر الى الهك •
الذى ظلت عليه عاكفا •
لنحرقنه ثم لننسفنه
فى اليم نسفا ••• !!

ثم قال موسى : يا قوم انما الهكم الله ••
الذى لا اله الا هو ••
وسع كل شىء علما ••

ثم قام موسى بعدئذ وألقى بذلك العجل على الارض وذبحه وأمر القوم فاحرقوه وذروا رماده فى مياه البحر حتى لا يبقى اى اثر للعجل بين القوم •ثم توجه الى السامرى بالقول :

موسى : هلا رأيت مصير الهك من ذبح وحرق ونسف •

السامرى : غفرانك تبت اليك •

موسى : لقد عصيت قبل وكنت من المفسدين .
واليوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ...
ولهم اللعنة وله سوء الدار ...
اذهب مطرودا من ملكوت الرب .
لا يمسك احد او تمسه الا اعتراك الالم المميت .
اخرج من بين قومى منبوذا مدحورا .
عليك اللعنة الى يوم الدين .
وتلك عاقبة المجرمين من زمرة ابليس اللعين .

محنة السامرى :

كانت هذه الكلمات من موسى تنزل على السامرى كالصاعقة .. فسرعان ما اسود وجهه وجسده وتقلصت شفتاه .. واصبح وجهه شبيها بشكل العجل الذى صنعه وعبده .. وذهل قومه مما حدث فى تلك اللحظات وقالوا أن روح الاله العجل الذى عبده . قد تقمصته وصار شبيها له فأخذ الصبية من ابناء موسى وهارون يرجمون السامرى بالحجارة ويصيحون « اخرج ياملعون من بين الشعب » وتظاهر بعض المؤمنين ليضربوه فاذا قرب منه احد احس برعشة فى جسمه ! فابتعد عنه الشعب : وكانت امه هى الوحيدة التى كانت تدافع عنه واخذت تسير أمامه وهو يصيح « لا مساس لا مساس » أنا خارج من بينكم ... وخرج السامرى وأمه من بين الجمع تشيعه اللعنات ويقذف بالحجارة من الصبيه فذهب بعيدا فى الصحراء جهة الشمال حتى وصلا الى كهف فى سفح جبل فاستراح به وقالت له أمه : لتبق هنا فى هذا الكهف .. وسأرجع أنا الى مقر القوم وسأحضر اليك كل يوم بالماء والطعام .. وكان السامرى اذا أمسك بالمن يصير فى يده ورق شجر جاف ليس به حلاوة المن .. وأمسك بطائر من السلوى فأخذت تنقره بمنقارها فى يده فتألم أشد الالم وتركها وقد ظهر على جلده مكان نقرها دمل وسرعان ما انتشرت الدمامل فى جميع جسمه ... واعتلاه الجرب

فلم يستطع معالجة الدمامل او الجرب فى جسمه .. لانه اذا حك جلده شعر بألم شديد وكانت أمه تقف حائرة أمامه غير قادرة على تخفيف آلامه ·· وما يعانيه من أمراض فكان لا يستطيع ان يمسك باناء الماء ليشرب ·· فكانت أمه تقطر له الماء فى فمه من الاناء وقد أصبح الطعام متعذرا عليه مضغه لانه اذا ضغط عليه بأسنانه يشعر بآلام جسيمه فيها فعافت نفسه الاكل وتحجرت بطنه من عدم الطعام بعد بضعة ايام .. واصبح جسمه متقيحا نتنا قبيح المنظر لا يقوى على الوقوف ··· وأصبح لا يرى فى هذه الدنيا كلها الا أمه ·· سبب وجوده فى الحياة ـ وكانقلب أمه يتقطعحسرة وحزنا على وحيدها الذى حلت به اللعنة فاعترته الامراض الفتاكة ·· ولاقى من العذاب صنوفا وألوانا فعاش تلك الايام يقول دائما « لا مساس » وتأثرت صحتهبتلكالامراض وانهارت نفسه واصبح يؤثر الموت على الحياة فى ظل هذه اللعنة ··· وأخذت أطرافه تتقلص واصبح كومة من العظم واللحم ·· وجحظت عيناه ·· وفقد السيطرة على أعصابه ·

ونظر موسى السامرى الى أمه فى عطف وأسى والدمع ينحدر من مقلتيه فى يأس ورجاء ·

وقال لها يا أماه : لم يبق لى فى هذه الحياة الدنيا الا أنفاس معدودات .. ولى رجاء وحيد أبتغيه منك فهلا تفعليه ·

قالت الام : لبيك ولدى .. وفلذة كبدى ..
ألمر بما تريد ···
فلو كان من عمرى .. لاستقطعته لأطيل فى عمرك ..
ولو كان من أنفاسى لسكبته فى أحشاءك ·
ولو كان من دمى لملات به قلبك ···
فلقد كنت أول الساجدين لالهك الذى صنعت ··
ولكن لما جاء الحق وزهق الباطل ··
تبت ورجعت الى ربى بعد ان كفرت .
ولكن لم يثننى ايمانى عن حبك ··

لانك من جسمى تكونت ..
ولا أضن عليك بروحى ان طلبت .
لانى أنا .. أنت ..
ولو أنى أنا أنا .. وأنت أنت .

قال السامرى : مهلا أمى .. فلم يكن لى ذنب فى كل ما تقولين .
ولو أنى تحملت اليوم تبعة هذا الاثم المهين .
فقد أضلنى ابليس »وأغوانى بالدليل اليقين .
وزين لى مزاحمة موسى فى سلطانه المبين .
بأن لى قوة أرى بها الملائكة المقربين .
وأقسم لى أنه سيجعل القوم كلهم لى تابعين .
فما كذب لانه قد صار أكثرهم كافرين .
وليس هذا بكثير عليهم لانهم مستضعفون .
وكان أمل ابليس ان يفسد عقيدة المؤمنين .
لولا أن جاء موسى بسلطان البهاء للعالمين .
فبدد نوره جحافل الشرك والمنافقين .
وسطعت أضواء يده فى قلوب قومه الضالين .
فعاد اليهم رشدهم ورجعوا مؤمنين .
الا أنا وابليس فسبق القول وكنا ملعونين .

قالت الام : سأستغفر لك ربى ياولدى .
وسأهب لك صيامى وصلاتى .
طول حياتى ..
وسأقدم كل ماأملكه فى الدنيا .
من أجلك قربانا واحسانا .
وسيكون كل دعواتى لك وحدك .
عسى أن يرحمك الله .
ويغفر لك ..
من أجلى

قال السامرى : وهل يغفر لى الرب يا أماه .

قالت الام : أن الله لايغفر ان يشرك به .
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

قال السامرى : كأنه لايغفر لى .

قالت الام : لاأستطيع الا أن استغفر لك .
فأنا أمك .
والامر يومئذ لله .

قال السامرى : أماه هل لك ان تذهبين .
وتأتى « بملكه » ولو بعد حين .
منايا أراها قبيل الوفاة .
وأغمض عينى بصورة وفاء .
فهلا تجود وتأتى الى .
لانظر فيها جمال المحيا .
وأذكر أنى ارتكبت الخطايا .
لاجلها حتى بلغت المنايا .
وانى برىء لانى محب .
ومن اجل هذا كفرت بربى .
لانى أردت زواجا سريعا .
ولو ضل قومى وماتوا جميعا .
فلست ابالى على أى دين .
تكون حياتى فحبها دينى .
وقلت لقومى سلام فانى .
رسول لعجل يقدر حبى .
ويأمر أنى ازوج فورا .
لانى منعته ظلما وجورا .

فعجل عبدت ورب كفرت ٠

وبعدها نادوا بأنى لعنت ٠

قالت الأم : هدىء من نفسك يابنى وسأذهب
لمحاولة هذا الامر العسير ٠
وذهبت مسرعة الى مكان القوم ٠
وقابلت يوكابد ودار الحديث الآتى :

قالت أبشيلة : « باكية حزينة تلطم الخدود وتشق الجيوب معفرة الرأس والثياب بالتراب » .
وبعد أن قبلت قدميها وبللتهما بالدموع ...
ياأم النبى ٠ ان ابنى وحيدى ووعد الرب هو الحق ٠
ولقد فتكت به الامراض من اللعنة التى حلت به ٠
وهو الان يعانى سكرات الموت وطلب منى أن
تكتحل عيناه برؤية «ملكة » قبل أن يلفظ أنفاسه ٠
ولا يوجد من يساعدنى غيرك فى تحقيق هذا الرجاء ٠
يا أم النبى لقد كان ابنى موسى السامرى املا يرجى ورجاء يؤمل
اذا أدلهمت على الهموم أو حلت بى الخطوب ولكنه ضل وغوى
ثم هوى وكفر .
فعاقبه الله لعنة ونكيرا ٠ فى يو مكان شره مستطيرا ٠

قالت يوكابد : لقد كان الانسان على نفسه بصيرا .
من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٠
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٠
ولا يظلم ربك أحدا ٠

قالت أبشيلة : نعم لقد نفذ السهم وانتهى الامر .. لكن ابنى لم يكن كفره متأصلا فى نفسه .

ولكنه كان عملا سطحيا دفعه اليه نزوة من ثورات الشباب ليكون سبيلا لان يتزوج « ملكة » خطيبته السابقة . وقد دفعه الشيطان دفعا لهذا العمل الخطر او لم يكن شعب بنى اسرائيل مسئولين مع ابنى عن سرعة تصديقه ... وأين الايمان العميق منهم وكانوا من قبل أيام قد مروا على أهل قرية فوجدهم يعبدون أصناما فقالوا ياموسى .. اجعل لنا الها مثل هؤلاء .. فما أغواهم ابنى وهم مؤمنون ولكن كان اكثرهم منافقين .

وقد أصبح ابنى الفداء لخطيئة بنى اسرائيل .. فعاقبهم الله فى شخصه وتحمل تبعة أوزارهم أجمعين وأصابه وحده سهم اللعنة ليكون للعالمين عبرة ونذيرا « وحديثا » .

وهو يعانى اليوم من الالام والاسقام ما تنوء به العصبة من الرجال فذوى منه شبابه وتساقط عنه لحمه وذهب عنه جماله .. وولى عنه بهاؤه ولولا أنى والدته وأعرفه بحاسة الامومة .. لانكرته فقد أصبح هيكلا عظميا تخلت عنه كل قواه حتى أنفاسه أخذت تعالجها سكرات الموت ويضع أحد رجليه فى الدنيا .. والاخرى فى الآخرة » . وفى حالته هذه التى لا يتحملها قلب أم طلب منى أن أحضر له « ملكه » أن استطعت لتكون آخر من يغمض جفنيه هى وأمه فى آخر نفس يلفظه .

ولا زالت دقات قلبه تنبض بحبين حب لأمه طبيعيا وحب لاخرى والناس يعلمها .

وانى أعرف أن قلبك الطاهر ياأم النبى مثل قلب كل أم لا تطيق أن ترى ابنها وهو فى سكرات الموت يطلب أمرا وهى لا تبذل كل مافى وسعها لتحقيقه وانى أستحلفك بحق النبى موسى ان تساعدينى فى أن تذهب معى « ملكه » الى ابنى ليراها قبل أن يفارق هذه الحياة .. فلا زال حبها فى قلبه .

قالت يوكابد : الى بملكه — وبعد أن أحضرتها — بنيتى اذهبى مع أبشيلة حيث يرقد ابنها « السامرى » عساه يراك قبل أن يفارق هذه الدنيا فهو على شفا حفرة من القبر .

قالت ملكة : « أى امنا المباركة » وهل لى أجرا عند الرب ان فعلت ذلك مع شخص ملعون فى مثل حالته ؟

قالت يوكابد : بل لك أجران من الله ثواب الاحسان وثواب الرحمة .

قالت ملكة : هيا بنا الى « السامرى » وعدوا .. حتى ننال الثوابين .

تذهب ابشيله وملكه بسرعة الى الكهف الذى يرقد فيه السامرى .

نهاية السامرى

فما ان قربت منه .. فلم تستطع ان تشم الروائح المنبعثة من جسمه .. فأمسكت بأنفها ونظرت اليه فوجدته جثة متقيحة .. ونادته أمه اذ كان مغشيا عليه .. ياموسى هذه « ملكه » .. واقفه أمامك .. ففتح عيناه ووقع بصره عليها .. وأومأ برأسه علامة الارتياح .. وأغمض عينيه . ومات الموتة الاولى .. ليبعث فى الاخرة . ليخلد فى سعير جهنم .

بكت امه « أبشيله » وحفرت له حفرة فى الكهف .. ووارته التراب ... ورجعت حزينة نائحة لم تبك عليه عين الا عين أمه .. ولم يحزن عليه قلب الا قلب أمه .. وأشيع بين القوم أن مات الملعون وبئس المصير .

ولما علم موسى النبى بخبر موت السامرى قال :

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا » .

عتاب وتوبة :

بعد أن فرغ موسى النبى من القضاء على فتنة « السامرى » وعبادة العجل عقد اجتماعا حضرة جميع بنى اسرائيل وفى مقدمتهم الشيوخ ودار الحديث التالى :

قال هارون : انهم قد ضلوا فعلا .

قال موسى : بئسما خلفتمونى من بعدى .

أعجلتم أمر ربكم .

قال القوم : لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا .

لنكونن من الخاسرين .

قال موسى : ان الذين اتخذوا العجل .

سينالهم غضب من ربهم .

وذلة فى الحياة الدنيا .

وكذلك نجزى المفترين .

قال هارون : لقد اشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم .

قال موسى : قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين .

قال القوم : لقد عصينا وكفرنا حقا .

فهل يغفر لنا هذه الذلة ويتوب علينا ؟

قال موسى ياقوم : انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل .

فتوبوا الى بارئكم .

فاقتلوا أنفسكم .

ذلكم خير لكم عند بارئكم .

قال هارون : اتخذوه وكانوا ظالمين .

ألم يروا أنه لا يكلمهم .

ولا يهديهم سبيلا .

قال موسى : ان الذين عملوا السيئات .

ثم تابوا من بعدها وآمنوا .

ان ربك من بعدها لغفور رحيم .

قال يوشع بن نون : شكرا لك يا نبى الله .

فقد فتحت باب التوبة للمذنبين ·

وليس لهم من سبيل الا قتل أنفسهم ·

ليطهروا أنفسهم من خطيئة الكفر ·

فاهدأ نفسا وكن من الصابرين ·

قال هارون : يا أخى : لاتجعلنى مع الظالمين .

رب اغفر لى ولاخى ·

وأدخلنا فى رحمتك ·

وأنت أرحم الراحمين ·

« ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » ·

قال يوشع : وماذا تفعل بيمينك يا كليم الله ؟

قال موسى : هى الالواح التى كتب الله لكم فيها .

من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء ·

هى « التوراة » جاءت بالهدى والنور ·

فيها الشريعة والاحكام على مدى الدهور ·

فيها الوصايا العشر قد كتبت فى سطور ·

قال يوشع : وهل تنسخ من هذه التوراة ألوانا .

قال موسى : نعم ولتكن المكلف بهذا حسبانا .

وستكتب كل ما آتيك من ربنا احسانا ·

وتوضع الالواح فى تابوت عند هارونا ·

قال القوم : ياموسى : هل نصعد معك على الجبل ؟

لنقدم التوبة والغفران ·

فقال موسى : نعم : وليكن من المؤمنين سبعون .

فقال هارون : ولنترك أولئك الفاسقين ٠
يقتلون أنفسهم صاغرين ٠

وفى صبيحة اليوم التالى وجد من بنى اسرائيل عدد كبير قد قتلوا أنفسهم بسيوفهم أو قتل بعضهم بعضا تكفيرا لخطيئتهم الكبرى والاثم الذى ارتكبوه وذلتهم التى وقعوا فيها بعبادة العجل فوجدوا ألا مفر لهم من القتل حتى تتطهر نفوسهم وأرواحهم وتنال الرضا فى الاخرة لتدخل ملكوت الرب ٠

الغفران :

واختار موسى سبعين رجلا من قومه لميقات ربه من المؤمنين الذين لم يعبدوا العجل وصعد بهم الجبل ليستغفر واياهم ربه ويعتذروا عما حدث من عبدة العجل عسى أن يقبل الله توبتهم بعد أن ضلوا وكانوا لانفسهم ظالمين ٠

ولما قاربوا المكان المقدس فى البقعة المباركة من الشجرة التى يتجلى فيها النور الالهى على موسى بصفة الكلام وليس بصفة الكنه توقفوا بعيدا لان هذا ليس مقامهم وتقدم موسى بمفرده الى مقامه وسجد لله شكرا وتلقى من ربه العفو عن قومه فأخبر موسى السبعين رجلا من قومه بقول الله « عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » ٠

عندئذ تحركت فى قلوب الرجال رغبة بريئة وشوق عارم ليتمتعوا بالله مثل ما يرى موسى وظنوا أنهم على ذلك قادرون على سماع قبول المغفرة منه مباشرة وقالو لموسى « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » أى أنهم يرغبون فى رؤية الله بعين البصر وأنى لهم ذلك لانه أمر مستحيل أن يطبقه البشر ولو كان جبلا لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ٠ فما بالك بانسان فانه يصبح هباء لا شىء أمام تجلى الله ٠

ولم يكن موسى قد قص عليهم ما حدث له عندما طلب ذلك من ربه وصار الجبل دكا وخر موسى صعقا ٠

ولما طلب السبعون رجلا ذلك الامر من موسى لرؤية ربهم بعينهم أخذتهم الصاعقة فماتوا ٠

فقال موسى : رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى .

أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ٠

ان هى الا فتنتك ٠

تضل بها من تشاء ٠

وتهـــدى من تشـــاء .

أنت ولينا ٠

فاغفر لنا وارحمنا ٠

وأنت خير الغافرين ٠

واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة ٠

وفى الاخرة ٠

انا هدنا اليك ٠

قال الله : عذابى أصيب به من أشاء

ورحمتى وسعت كل شىء ٠

فسأكتبها للذين يتقون ٠

ويؤتون الزكاة ٠

والذين هم بآياتنا يؤمنون ٠

ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ٠

وسجد موسى شاكرا لربه وعاد الى السبعين من قومه فوجدهم أحياء مذهولين ونزل بهم من فوق الجبل الى بنى اسرائيل يبشرونهم بعفو رب العالمين وقبوله توبتهم ففرح القوم وسجدوا جميعا لله شكرا على فضله عليهم وكرمه بهم وعاهدوا موسى أن يكونوا جميعا مؤمنين حقا صادقين فى ايمانهم ٠

اجتماع للتفقه فى الدين :

وطلبوا من موسى أن يفقههم فى دينهم ويعلمهم التوراة وما نزل فيها من المواعظ والاحكام ليعبدوا الله على بصيرة ويتعلموا منه أصول الشريعة لانه كليم الله ونبيه المرسل لهم خاصة فاجتمع القوم فى بهجة وسرور تظللهم سحائب الرحمة وتحيط بهم أنوار الملائكة فقد رضى الله عنهم وتاب عليه أجمعين .

قال موسى : حمدا وشكرا لله الواحد الوهاب .

غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

قال القوم : توبة نصوح ورب كريم .

وهل لك أن تعظنا بالدين القويم .

فقال موسى : هى التوراة فى الالواح من رب عليم .

خذوها بعد ميثاق عليكم فى الصميم .

نتق الجبل :

قال القوم فزعين : ان الجبل يتحرك فوقنا كالغمام .

مثل ظلة نخشى أن يقع فينزل بنا الحمام .

قال موسى : خذوا ما أتيناكم بقوة .

واذكروا ما فيه لعلكم تتقون .

قال القوم : خذ العهد والميثاق فورا .

لئلا يسقط علينا الجبل قهرا .

قال هارون : هلا تبينت لنا شريعة الله فى التعبد والصلاة .

قال موسى : اقيموا للرب خيمة الاجتماع بعيدا عن أماكنكم .

ليحل فيها ملاك الرب فى ذلك المكان الطاهر المقدس .

وهناك فى خيمة الاجتماع تقيمون للرب مذبح البخور .
من أجل اشعال البخور ثم مذبح المحرقات ·
لتحرق عليه المحرقات من ذبائح التقدمة والسلامة ·
ثم يوضع فى داخل الخيمة أيضا المائدة لتوضع عليها ·
القرابين والاوانى المقدسة ·
وفى داخل الخيمة أيضا يوضع تابوت العهد ·
تحفظ فيه الالواح المباركة المقدسة وآثارنا النبوية المعجزة ·

قال هارون : سنقيم خيمة الاجتماع ونقدس فيها .
للرب فى كل سبت ونذبح الذبائح ونقدم القرابين ·
ونصلى فيها للرب عابدين تائبين مستغفرين ·

قال موسى : بورك فيك يا هارون ولتكن انت
ونسلك من بعدك مختصا بالكهنوت فى
داخل الخيمة ·

قال يوشع : قدوس .. قدوس .. قدوس ..
سبحان مالك الفردوس ·

قال القوم : انظروا الى الجبل .

قال يوشع : لقد رجع الى اصله الجبل .
وزال القلق وراح الوجل .

قالت مريم : قولوا شكرا اقيموا المرح .
أين الدف لنحيى الفرح ·

وانفض هذا الاجتماع الاول واتفقوا على أن يجتمعوا كل يوم سبت بعد الصلاة عند خيمة الاجتماع للتشاور فى أمر دينهم ودنياهم ·

خيمة الاجتماع :

اشترك جميع بنى اسرائيل فى اقامة خيمة الاجتماع وكانت أول معبد لهم يمارسون فيه طقوس الدين بحرية بعد أن ظلوا أربعة قرون مضت لا يجهرون بها ولا يعترف لهم بذلكوعلى نموذج خيمة الاجتماع هذه بنى سيدنا « سليمان النبى » بعد ذلك بعدة قرون « الهيكل المقدس » فى مدينة « أورشليم » « بيت المقدس » وقد كان الهيكل ذاك آية فى فن المعمار من حيث الضخامة وارتفاع البناء والعمدان وقد استخدم فى بنائه الجن ٠٠٠

ولمدة أسبوع كان بنو اسرائيل يقدمون كل يوم ثورا ذبيحة كفارة عن خطيئتهم بعبادة العجل كان يذبح أمام الخيمة ويرش من دمه حول المذبح ثم يحرق لحمه فى الصحراء بعيدا عن الخيمة ٠

كما أن فى كل يوم سبت بعد ذلك يذبح أمام الخيمة كبشان أحدهمافى الصباح والثانى فى المساء يحرق جزء من لحمه فوق مذبح المحرقة وباقى لحمه يأكله القوم كما يصنع من دهنهمعزيت الزيتون الدهن المقدس للمسيحة يمسح به كل ما هو داخل الخيمة والخدمة أيضا ليقدسوا ٠ ثم يوقد البخور فوق مذبح البخور ٠٠٠ ولقد جعل كهنوت هذه الخيمة فى هارون ونسله من بعده وأخذ موسى يشرح لهم طقوس التعبد صغيرها وكبيرها كما كانيتلقاها من ربه أو من الوحى ٠ لترسخ هذه المناسك فى قلوب قومه ٠ لانهم يعتبرون الان قادة الرأى فى الذين اليهودىتلقون من نبيهمموسى مباشرة تعاليم الدين وأصوله وليقيموا صلاتهم ونسكهم على أسس سليمة كما يقول لهم موسى لتصبح شريعة يتوارثها أبناؤهم فى الاجيال المتعاقبة ٠

وكان موسى يجتهد فى أن يشرح بالتفصيل كل مستلزمات العبادة كما يلهمه الله . وزيادة فى الحيطة خصص فتاه « يوشع بن نون » ليقيم فى خيمة الاجتماع يكتب نسخا من التوراة من الالواح التى احتفظ بها فى « تابوت العهد » بداخل الخيمة وكذلك يدون كل التعاليم والتفاصيل الخاصة بالدين التى كان يمليها عليه موسى لتكون دستورا لبنى اسرائيل فى الحقب المتعاقبة ولو أن

بنى اسرائيل وخاصة الكهنة منهم قد امتدت أيديهم بعد ذلك الى التوراة بالتبديل والتغيير حسب الاهواء والاغراض التى كانت تحيط بهم سياسية أو دينية ·

ومن أبرز ما جاء بالتوراة تلك الوصايا العشر والاحكام والعظات فهى بحق تعاليم ومبادىء أساسية للعدالة الاجتماعية والاخلاق ولقد تشابهت كل هذه الاسس مع ما أمرت به الاديان اللاحقة فى المسيحية والاسلام ـ وسنذكر ذلك على وجه المقارنة ليتبين للناس أن الاديان كلها من مصدر واحد ونبع أصيل صاف من لدن حكيم عليم ·

الوصايا فى التوراة :

١ ـ لا يكن لك ألهة أخرى أمامى ·

٢ ـ لا تضع تمثالا منحوتا أو صورة ولا تسجد لهن ·

٣ ـ لا تنطق باسم الرب الهك باطلا ·

٤ ـ اذكر يوم السبت لتقدسه ·

٥ ـ اكرم أباك وأمك ·

٦ ـ لا تزن ·

٧ ـ لا تسرق ·

٨ ـ لا تشهد الزور ·

٩ ـ لا تشته بيت قريبك ·

١٠ ـ لا تشته امرأة قريبك ولا شيئا عنده ·

ومن الاحكام فى التوراة :

١ ـ اذا سرق انسان ثورا وذبحه أو باعه فيدفع عنه تعويضا خمسة ثيران ·

٢ ـ اذا وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم ٠

٣ ـ اذا سرح انسان مواشيه فرعت فى حقل غيره فمن أجود حقله يدفع التعويض ٠

٤ ـ اذا أحرق انسان زرعا أو أكداسا فيدفع التعويض ٠

٥ ـ اذا أعطى انسان صاحبه ماشية وسرقت من عنده فيدفع التعويض

٦ ـ لا تضطهد الغريب ولا تضايقه لانكم كنتم غرباء فى مصر ٠

٧ ـ لا تسىء الى أرملة أو يتيم فانى أسمع صراخه ان صرخ ٠ فقد تصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى ٠

٨ ـ ان أقرضت الفقير فلا تكن له كالمرابى لا تضعوا عليه ربا ٠

٩ ـ لا تسب الله ٠

١٠ ـ لا تلعن رئيسا فى شعبك ٠

« ذلكم وصاكم به » فى القرآن الكريم من « سورة الانعام » :

١ ـ ألا تشركوا بربكم شيئا ٠

٢ ـ وبالوالدين احسانا ٠

٣ ـ ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ٠

٤ ـ ولا تقربوا الفواحش ماظهرمنهاومابطن ٠

٥ ـ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ٠

٦ ـ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ٠

٧ ـ واوفوا الكيل والميزان بالقسط ٠

٨ ـ لا نكلف نفسا الا وسعها ٠

٩ — واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى .

١٠ ـ وبعهد الله أوفوا .

ومما يلاحظ فى هذه الوصايا العشر التى وردت جميعها متعاقبة فى هذه السورة أنها تعنى خمسة حرمات بصيغة النهى وخمسة واجبات بصيغة الامر

ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة : فى القرآن الكريم من سورة « الاسراء » :

١ ـ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه .

٢ ـ وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما .

٣ ـ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل .

٤ — ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين .

٥ ـ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا .

٦ ـ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا .

٧ ـ ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا .

٨ — ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا .

٩ ـ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ اشده .

١٠ ـ واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا .

١١ ـ واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا .

١٢ ـ ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ٠

١٣ ـ ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ٠ ولقد أمر الله رسوله بقوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ٠

اجتماع الشكر :

اجتمع بنو اسرائيل فى يوم سبتهم بعد أول صلاة لهم فى خيمة الاجتماع واستمعوا الى موسى يكلمهم بآيات من التوراة وهارون يعظهم بالاحكام ويوشع يقرأ لهم من التعاليم الدينية وبعد أن قام موسى بمسح رأس أخيه هارون وبنيه من الدهن المقدس قام الاخيرون بمسح باقى الشعب ليباركهم الرب ويحط عنهم سيئاتهم ٠

قال موسى : يقول الله رب العالمين : رب السموات والارض ٠

ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ٠

ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ٠ ونمكن لهم فى الارض ٠

قال هارون : نحمد الله أن هدانا للايمان وكفر عنا سيئاتنا ٠

وغفرلنا ذنوبنا ٠ وجعلنا من المؤمنين ٠

قال يوشع : نريد جمع العشور وأخذ النذور ٠

ورسم المهور وبعض البخور ٠

قال هارون : انها لكبيرة الا على المحسنين ٠

قال القوم : وما ذلك علينا بكثير ٠

قالت يوكابد : وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ٠

قال قارون : فليكن احسان وليس بعشور ٠

انما أوتيته على علم عندى ٠

قال يوشع : ما تعارض فى دفع العشور ؟

لانك أوتيت من الكنوز ما أن مفاتحه ٠

لتنوء بالعصبة أولى القوة ٠

فقال له القوم : لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين .

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة .

ولا تنس نصيبك من الدنيا .

وأحسن كما أحسن الله اليك ـ

ولا تبغ الفساد فى الارض .

ان الله لا يحب المفسدين .

قال قارون : انما أوتيته على علم عندى .

فقال موسى : أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون .

من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا .

ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون .

قال القوم : الذين يريدون الحياة الدنيا .. لما خرج عليهم قارون فى زينته .

يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ؟

انه لذو حظ عظيم .

قال القوم : « الذين اوتوا العلم » .

ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا .

ولا يلقاها الا الصابرون .

قارون : اغيثونى أغوص فى الارض .. فانشقت به الارض وابتلعته .

قال موسى : أمر الله : فخسفنا به وبداره الارض .

فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله .

وما كان من المنتصرين .

فذهل القوم مما رأوا من خسف قارون وذهبوا ليروا مكان داره فلميجدوها على سطح الارض . وتلك عاقبة المقترين والبخلاء المنافقين طغى عليهم حب المال فاستكثروا دفع العشور فكان من الهالكين .

وقال القوم ، الذين تمنوا مكانه « ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده

ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح

الكافرون » ٠

قال موسى : من جاء بالحسنة فله خير منها ٠

ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات ٠

الا ما كانوا يعملون ٠

فقالت يوكابد : لقد خسف الله بقارون وداره ٠

انما أموالكم وأولادكم فتنة ٠

فقال موسى : واذ أخذ الله ميثاقكم ورفع فوقكم الطور ٠

ثم توليتم من بعد ذلك ٠

فلولا فضل الله عليكم ورحمته ٠

لكنتم من الخاسرين ٠

فقال هارون : لقد كان فى القوم اخرون لا يسبتون ٠

فقال موسى : لقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت ٠

فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ٠

فجعلناها نكالا لما بين يديها ٠

وما خلفها وموعظة للمتقين ٠

فقال يوشع : لقد كان رفع الجبل فوق القوم وهم يعطون الميثاق لتنفيذ ما جاء

بالتوراة آية كبرى قوت ايمانهم فأقروه خشية ان يقع الجبل عليهم

فيهلكهم أجمعين ٠

فقال هارون ، أما اولئك الذين خالفوا الامر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم

حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ٠ فكان هذا

امتحانا لايمانهم ففسقوا واعتادوها يوم السبت فطردوا من رحمة

الله ومسخت قلوبهم فلم تقبل وعظا ولم تع نصحا واصبحت

عقوبة لهم وعبرة للناس ٠

وانفض الاجتماع على أن يجتمعوا فى السبت التالى ٠

قصة البقرة :

لقد قضى بنو اسرائيل عدة شهور منذ خرجوا من مصر وعسكروا فىسفوح جبل الطور فى الوادى المقدس متيمنين بذلك المكان الطاهر الذى كلم الله فيه موسى وأرسله لهم نبيا ورسولا · فلذلك كان القوم ينظرون الى هذا المكان نظرة طهر وقداسة لا يطأونه بنعالهم · وبحق كانت سحائب الرحمة تظللهم دائما وكانوا فى كنف الله جملة وتفصيلا لانهم كانوا كالنبت الصغير يلحظه الرب بعنايته دائما متجاوزا عن خطاياهم لانهم ذاقوا من قبل صنوف العذاب من المصريين فكان رحمة الله بهم واسعة وفضله عليهم كبيرا · وكانوا يشعرون بذلك ويعترفون وبصرف النظر عن غلطتهم الكبيرة من عبادة العجل فى أول الامر وغفران الله لهم فانهم جميعا بعد ذلك صاروا مؤمنين الا أفرادا قلائل لم يكن ايمانهم كاملا وكانوا جنود ابليس ·

ثم حدث ان وجدوا واحدا منهم مقتولا وكان هذا الامر فى حد ذاته خطيرا وجسيما ان يوجــد بينهم قاتــل وقتيل وكان أول قتيل بجريمة بينهم مــنذ الخروج فعظم الامر فى نظرهم ·

وهرعوا الى موسى صاحب المعجزات ليكشف عن القاتل بما لديه من قوة ربانية على اتيان المعجزات ·

فقال موسى : ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة .

فقال موسى : أتتخذنا هزؤا .

فقال القوم : اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين .

قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؟

قال موسى : انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر .
عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ·

قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؟

قال موسى : انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها .
تسر الناظرين .

قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ...؟
ان البقر تشابه علينا ·
وانا انشاء الله لمهتدون ·

قال : انه يقول انها بقرة لا ذلول .
تثير الارض ولا تسقى الحرث ·
مسلمة لا شية فيها ·

قالوا : الآن جئت بالحق .
(فذبحوها ···)

فقال موسى : اضربوه ببعضها ...
كذلك يحيى الله الموتى ·
ويريكم آياته لعلكم تعقلون .

وهكذا ضرب القتيل بجزء من جلد البقرة فأحياه الله وذكر اسم القاتل له ··· فحوكم أمام القوم ونال قصاصه ·

ولقد كان تسجيل هذهالحادثة فى الكتب المقدسةلونا آخر من المعجزات على يد سيدنا موسى · ويبين جدل البشر فيما ينفع وفيما لا ينفع حتى ولو كانوا مع الانبياء ·

وكان الانسان اكثر شىء جدلا .

قصة الخضر مع موسى :

فى أحد الاجتماعات التى كان يقومفيها موسى خطيبا فى بنى اسرائيل يشرح لهم من الدين ما أغلق عليهم فهمه ويبين لهم مناسكهم ويبلغ ما أوحى اليه من ربه فى أمر الشريعة والاحكام ويفسر ما يتعذر تطبيقه عملا فى الطقوس والتعليمات .

فقال له احد القوم انك يا موسى اعلم من فى الارض فانك صاحب معجزات ربانيةوصاحب التوراة والالواح وملم بكل دقائق الشريعة وتجيب كل ما نطلب من تفجير الماءوظلة الغمامة والمن والسلوى وفلق البحر ·

فسكت موسى ولم يرد على السائل من قومه · فعاتبه الله عن طريق الوحى عندما ذهبوا الى خيمة الاجتماع للصلاة بأنه له يرد علمه لله وهناك عبد من عباد الله هو أعلم منه فطلب موسى من ربه أن يراه فقال له تأخذ معك حوتا تسير على ساحل البحر فحينما فقدت الحوت ستجده فسار موسى ومعه فتاة يوشع بن نون وحمل معه زادا فى مكتل وحوتا وسار على ساحل البحر جنوبا حتى وصل الى مجمع البحرين وهو مكان اتصال خليج العقبة بالبحر الاحمر ·

قال موسى ، لفتاة « يوشع بن نون » لا ابرح اسعى حتى ابلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا ·

« ولما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا

« انزلق من المكتل ونزل الماء » ·

فلما جاوزا · · ·

قال موسى : لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا .

قال يوشع : ارايت اذ اوينا الى الصخرة « عند مجمع البحرين » .

فانى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان أن أذكره ·

وأتخذ سبيله فى البحر عجبا ·

قال موسى : ذلك ما كنا نبغ .

« فارتد على أثارهما قصصا » فرجعا يتبعان الطريق نفسه ·

فوجدا عبدا من عبادنا أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » ·

قال موسى له ، هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا .

قال الخضر : انك لن تستطيع معى صبرا .

وكيف تصبر على ما لم تحط بى خبرا ·

قال موسى : ستجدنى ان شاء الله صابرا .

ولا أعصى لك أمرا ·

قال الخضر : فان اتبعنى فلا تسألنى عن شىء .

حتى أحدث لك منه ذكر ا ·

« فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها ·

قال موسى : اخرقتها لتغرق اهلها .

لقد جئت شيئا امرا ·

قال الخضر : الم أقل انك لن تستطيع معى صبرا .

قال موسى : لا تؤاخذنى بما نسيت .

ولا ترهقنى من أمرى عسرا ·

« فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله » ·

قال موسى : اقتلت نفسا زكية بغير نفس .

لقد جئت شيئا نكرا ·

قال الخضر : الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا .

قال موسى : ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى .

قد بلغت من لدنى عذرا ·

« فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية ·

استطعما اهلها . فأبوا ان يضيفوهما .

فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض
فأقامه » ·

قال موسى ، لو شئت لاتخذت عليه اجرا .

قال الخضر : هذا فراق بينى وبينك .

سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا :

١ ــ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر ·

فأردت أن أعيبها ·

وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا .

٢ ــ وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين ٠
فخشينا أن يرهقهما
طغيانا وكفرا ٠

٣ ـ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ٠
وكان تحته كنز لهما ٠
وكان أبوهما صالحا ٠
فأراد ربك ان يبلغا أشدهما ٠
ويستخرجا كنزهما ٠
رحمة من ربك ٠
وما فعلته عن امرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ٠

ورجع موسى وفتاه بعد أن رأى بعينى رأسه عبرا صالحا من عباد الله يأتى بأمور عجيبة فى نظرالبشر تعتبر جرائم يعاقبعليها بالسجن أو القتل ولكن فى باطنها الرحمة وتستحق الثناء وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ٠ وما أوتيتم من العلم الا قليلا ــ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ٠

التيـــه :

بعد حادثة القتل التى أحيا الله المقتول بضربه ببعض البقرة بعد ذبحها وقف موسى يعظ قومه وقال :

قال موسى : يقول الله من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل ٠
أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض ٠
فكأنماقتل الناس جميعا ٠
ومن أحياهافكأنماأحيا الناس جميعا ٠

فقال يوشع : يقول الله انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون
فهل هناك من تفصيل للعقوبةولكم فى القصاص حياة ٠

قال موسى ، وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين .
والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص ٠
فمن تصدق به فهو كفارة له .
ومن لم يحكم بما أنزل الله ٠
فأولئك هم الظالمون ٠

قال هارون : زدنا وعظا وحكمة وذكرنا بآلاء الله .

فقال موسى : يا قوم : اذكروا نعمة الله عليكم اذ نجاكم من آل فرعون .
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ٠
وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٠
واذ تأذن ربكم لئنشكرتم لازيدنكم ٠
ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ٠
ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا ٠
فان اللهلغنى حميد ٠

قال هارون : من الذين هادوا سماعون للكذب اكالون للسحت يحرفونالكلم
عن مواضعه ٠

قال موسى : يا قوم : اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء .
وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ٠
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ٠
ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ٠

قال القوم : يا موسى ان فيها قوما جبارين
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ٠
فان يخرجوامنها فانا داخلون ٠

قال هارون : يا قوم ، هذه ارض الميعاد التى وعد بها جدنا ابراهيم وابناؤه

قال القوم : انا كنا قوما مستضعفين اذلاء .

ولم نكن فرساناً بل عبيدا أجراء ·

فهل نذهب لغزو العمالقة الاعداء ·

ونحن قوم كما ترى كلهم دهماء ·

قال رجلان : « من الذين أنعم الله عليهما » :

أدخلوا عليهم الباب ·

فاذا دخلتموه فانكم غالبون ·

وعلى الله توكلوا ·

ان كنتم مؤمنين ·

قالوا ، انا لن ندخلها ابدا .

ماداموا فيها ·

فاذهب أنت وربك فقاتلا ·

انا ها هنا قاعدون ·

قال موسى : رب انى لا املك الا نفسى واخى .

فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ·

قال الله وحيا لموسى : فانها محرمة عليهم .

أربعين سنة يتيهون فى الارض ·

فلا تأس على القوم الفاسقين ·

قال هارون : اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ·

لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم ·

تفرق القوم بعد هذا الاجتماع بعد أن عصوا أمر ربهم بدخول أرض فلسطين وعاقبهم بالتيه أربعين سنة يضربون على غير هدى فى صحراء سينا حتى فنى هذا الجيل الجبان .

وقد مات موسى وهارون عليهما السلام فى هذه الحقبة . ولم يدخلا الارض المقــدسة .

ثم دخل بنوا اسرائيل فلسطين بعد ذلك وتكونت دولة داوود وسليمان ولكن أعقابهم انحرفوا عن سواء السبيل وكفروا بأنعم الله وكذبوا الانبياء وقتلوهم وهموا بقتل آخر انبيائهم المسيح عليه السلام ورموا أمه بالافك المبين فلعنهم الله وباءوا بغضب منه وضربت عليهم الذلة والمسكنة وشردهم تحت كل كوكب « كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين » .

وأورث الله أرضهم وديارهم العرب أبناء اسماعيل أكبر أبناء خليله عليهما الســـلام .

واما القول تجاوزا بأن أرض فلسطين هى أرض الميعاد التى وعد بها سيدنا ابراهيم وابناؤه فان أكبر أبنائه هو سيدنا « اسماعيل » أبو العرب وهو احق بالميراث كله لانه بكر سيدنا ابراهيم وأحب اليهمن« اسحق »لانه هـــو الذى ساعده فىبناء الكعبةالشريفة وخـــص ذريته بالحج اليها وهو صاحب الابتلاء بالذبح الذى نال عليه سيدناابراهيم الدرجات العليا عند الرحمن حيث قال له الله « **ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين !** .

ولقد كان عصيان بنى اسرائيل عن اطاعة أمر موسى بدخول أرض فلسطين أمرا كبيرا على نفسه اذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم أى فلما مالوا عن الطاعة أمال الله قلوبهم عن الهداية والله لا يهدى القوم الفاسقين .

وظل بنو اسرائيل تائهين فى صحراء سينا حتى فنى شيوخهم حتى سيدنا هارون فقد توفى ايضا ودفنه سيدنا موسى فى جبل « هور » من جبال سينا واما موسى فقد توفى أيضا بعده ودفن فى الجبل الذى كـــان يقيم به وهـــو جبل « نبو » الذى كان ينظر منه الى الارض المقدسة ولم يدخلها لقد كانت نفسه

مشتاقة لدخول أرض فلسطين فكان رفض قومه دخولها سببا فى حرمانه منهــا .

وبذلك عوقب بنو اسرائيل فى الاحقاب المتعاقبة من الزمان بالتشريد فى بلاد العالم · وحقت كلمة ربك عليهمحتى لو دخلوها عنوة أو خلسة بطريق الاعتداء فانهم يخرجون منها طردا وقهرا فهو حكم الله فيهمولن تجد لسنة الله تبديلا ·

وأما سيدنا موسى وأخوه هارون فقد جاهدا فى الله حق جهاده وتحملا فى سبيل تنفيذ الرسالة كل جهد ومشقة مما تعجز عن وصفه الاقلام وتضيق عن حصره الاوراق ولقد سجل لهما هذا الفضل العظيم رب العزة بقوله تعالى : **« ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهم الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الاخرين · سلام على موسى وهارون انا كذلكنجزى المحسنين · انهما من عبادنا المؤمنين » ·**

المهندس : احمد الجبالى

أهم المراجـــع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير القرآن . الاستاذ حسنين مخلوف .

٣ ـ تفسير القرآن .
الجلالين .

٤ ـ التوراة .

٥ ـ العقائد بين السماء والارض . الاستاذ سليمان مظهر

٦ ـ قصص الانبياء . المرحوم عبد الوهاب النجار

٧ ـ قصص الانبيـــاء .
المرحوم ابن اسحق الثعلبى .

٨ ـ مجموعة قصص الأنبياء .
الاستاذ محمد أحمد برانق .

٩ ـ قصص القرآن . .
الاستاذ محمد أحمد جاد المولى .

١٠ ـ مصر القديمة الجزاين السادس والسابع .
المرحوم سليم حسن .

١١ ـ الوحى المحمدى .
السيد محمد رشيد رضا .

١٢ ـ المحامد الثمانية .
السيد أحمد بن ادريس .

محتويات الكتـــاب